تأليف اللواء
اندريه بوفر

تمهيد إلى السوق

مع تلميح خاص عن قضايا
الدفاع، السياسة، الاقتصاد
والدبلوماسية في العصر النووي.

ترجمة العميد الركن
عبد المنعم المصرف

هدية المجلة العسكرية

العدد الرابع
تشرين الاول

إهداء

إلى من سعدنا بقيادتهم من امرائنا
ومن حظينا برفقتهم من زملائنا ضباطاً
ومراتب ، شهداء واحياء
اقدم هذا الجهد المتواضع عله يسهم
في انارة الطريق لمن اراد السير عليه
بكل تجرد وجد واخلاص

عبد المنعم المصرف
عميد ركن

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب في السوق (الستراتيجية)[1] دعاه مؤلفه باسم (تمهيد الى السوق) وهو وان كان يبحث موضوعا عسكريا يعتبر اختصاصيا الى حد الا ان هذا الاختصاص على اختلاف اشكاله لم يعد وقفا على فقهاء الجيوش يمعنون فيه هدما وبناء ....ذلك لان السوق فن يشمل كل نشاط وفعالية الشعب للعلاقة المصيرية التى تربط الشعب بالنتائج المترتبة عليه .

ولقد زاد من خطر تلك النتائج بروز التقدم العلمى فى مجال الطاقات المدمرة بصورة لا تتناسب مع التطور الاجتماعى .

لقد بذلت جهدي لاكون امينا في ترجمة هذا السفر العلمي[2] الى الحد الذى يسمح به الالتزام .... ولا اخفى اني استعضت بالتعبير العربى دون الالتزام بالنقل الحرفى كلما وجدت التعبير العربى اقرب الى الصواب بل والى القلب .

ان صدور هذا الكتاب بعد الانتكاسة التى المت بجيوشنا وسياستنا نتيجة التواطيء المجرم الذي تعرضنا له من قبل اسرائيل والاستعمار يوم ٥/حزيران/١٩٦٧ ليضع بعض النقاط على الحروف فى الحقول الدبلوماسية والعسكرية ويلقى ضوء على الاساليب التى اتبعت من قبل اسرائيل وحلفائها ولا زالت تتبع فى مجال السوق الاشمل والسوق غير المباشر وكيف تسخر كل الطاقات لخدمة سياسة الدولة وتنفذ اهدافها . وكيف ان اسرائيل تفادت في حركتها المباغتة هذه جميع اخطاء حملة السويس سنة/١٩٥٦ بينما نحن اسأنا تقدير الموقف واختيار الوقت والمكان والاسلوب سياسيا وعسكريا .

---

(١) فى هذه الترجمة عولت على المصطلحات العسكرية المستعملة فى الجيش العراقي الباسل .

(٢) وضع هذا الكتاب بالفرنسية وقام بترجمته الى الانكليزية اللواء (باري). ـ المترجم ـ

ان هذا الكتاب يعرض التاريخ على عجل ويتطلب من القارىء ان يكون ذا المام تاريخي طيب والا قلت الفائدة المرجوة منه على الرغم من الشروح التي ابتناها خدمة له ، ولقد كنت اود ان اقدم سيرة المؤلف لتثمين خبرته وجهده الا ان المؤلف العسكرى المعروف (ليدل هارت) كفانى مهمة ذلك.

ومما هو جدير بالتنويه ان المؤلف منتم للمعسكر الغربي لذا لا غرابة اذا ما اطلق تعبير العدو في بعض الاحيان على دول المعسكر الاشتراكي او اذا ما اشار الى هبوط مكانة الغرب لدى الشعوب الاخرى وعرض مقترحاته لاعادتها الى سابق عهدها • وهو اذ يعرض ذلك يتيح لنا معرفة وجهة نظر امثاله من القادة والساسة الغربيين نحو الشعوب المتطورة • كما انه في اشارته لاسرائيل وحركاتها الاجرامية يعبر عن وجهة نظر امبريالية بحتة • ومن نحو آخر فقد وجدناه يتعرض لمشكلة القضاء والقدر عند المسلمين بشكل يدل على عدم التعمق في معرفتها • وليست هذه المقدمة المجال المناسب للرد عليه والاسهاب فيه •

وختاما ارجو ان اكون عند حسن ظن القارىء الكريم والله ولى التوفيق •

عبدالمنعم المصرف
عميد ركن

مقدمـــــة

للرئيس ب٠اج ٠ ليدل هارت (١)

ما من احد في العصر الحديث كتب كتابا عن السوق هو اكثر خبرة عملية من الجنرال بوفر ٠ وليس هنـاك قائدا بمستـواه كتب مثل هذه الدراسة النظرية المتقنة في الموضوع ٠ عندما التقيت به للمرة الاولى سنه/١٩٣٥ كان احـدث الضباط العاملين في الاركان العامة ٠ وقـد آثر بي كثيرا بعقلـه النفـاذ بحيث وضعت ملحوظة عنه انه واحد من اربعة ضباط يؤمل فيهـم ـ مررت بهم اثناء زيارتي لفرنسا ـ ومن هؤلاء الاربعة ثلاثة بقوا بعد الحرب ووصلوا الى مناصب عالية في الجيش الفرنسي ٠ وفي آخر سني الحرب اصبح اندريه بوفر مديـر الحركات في دائرة اركان الجيش الاول ٠

عندما التقيته ثانية سنة/١٩٥٠كان نائب رئيس اركان القوات البرية لاوربا الغربية وبعدها غادر للشرق الاقصى كنائب لرئيس الاركان ، المارشال دي لاتر دي تاسيني ٠ ثم عين بعد عودته الى اوربا كرئيس لجحفل الدراسات التعبوية ، حيث عمل بجـد لتكوين افكار جديدة لمواجهـة احتمـال غزو الروس لالمانيـا الغربية ، وقد وجدت ذلك في زيارتي له بمقره في باد نيونهو ثم اصـبح بعـد ذلك قائدا لفرقة المشاة الآلية حيث طور فيها بنجاح تنظيمـا خماسيا جديدا من اقسام فرعية مخمسة ـ وهو ماكنت ادافع عنه منذ زمن طويل ، وكان الجيش الفرنسي اول من طبقه لتجربته ٠ وفي سـنة/١٩٥٥ ارسـل الجنرال بوفـر الى الجزائر لقيادة منطقة حركات،واختير في السنة التي تلت لقيادة الفيلق الفرنسي

---

(١) ليدل هارت ـ النقيب ليدل هارت ـ ضابط بريطاني من صنف المشـاة تاثر بكتابات الجنرال فولر عن الدروع واستخدامها فقدم دراسات عنها وعن الحرب جعلته يعتبر من أقدر المفكرين العسكريين ومن أهـم كتبـه (اعادة بناء الجيوش العصرية) و (سوق الاقتراب غير المباشر) ٠
ـ المترجم ـ

المستخدم فى حملة السويس ، ثم عين بعد ذلك نائبا لرئيس اركان القوات الفرنسية فى المانيا • وفى سنة/١٩٥٨ عين نائبا لرئيس اركان هيئة التنقل والتجهيز والادامة لدى قيادة حلف شمالى الاطلسى ومن بعدها بسنتين اصبح ممثل الجانب الفرنسى فى المجموعة الدائمة لحلف شمالى الاطلسى فى واشنطن •

ان هذه التجربة الفائقة المتنوعة زودته بخلفية لاتضاهى واتاحت لعسكرى عميق التفكير مثله فرصة دراسة وتخطيط وتطبيق السوق فى المواقف الفعلية والحركات • وهكذا فان من القيم جدا انصرافه بعد تقاعده المؤسف مؤخرا وهو لا يزال فى قمة طاقته العقلية ، لانتاج كتاب عن هذا الموضوع الواسع المدى •

لقد دعا كتابه « تمهيد الى السوق » ولكن هذا عنوان متواضع جدا كما سيتضح ذلك لكل قارىء مطلع ولكل طالب • ان كتابه فى الواقع هو المؤلف الاكثر شمولا والاتقن تعبيرا فى السوق ألف حتى الآن وظهر فى هذا الجيل • بل انه بز اى مؤلف من هذا القبيل فى عدة شؤون • انه يكاد يكون كلاسيكيا ككتاب رسمى فى هذا الفرع من فروع المعرفة • وبالوقت الذى اختلف معه فى تفسيره او تعبيره ببعض النقاط فان فيه نقاط اكثر اؤكد اتفاقى واياه بشأنها • انى لأرحب جدا بمثل هذه المساهمة الفائقة في الافكار المتعلقة باسس الحرب •

تمهـــــيد

إن كل من يكتب كتابا عن السوق في هذه الايام وهذا العصر (١٩٦٣)قد يبدو شجاعا الى حد التهور • لم يبق من يعتقد بعباقرة للسوق في هذه الايام • فان رجال السوق العظام اكتسحهم طوفان حربين وضغط الاحداث يوما بعـــد يوم • انهم اضحوا كالكتب القديمة ببساطتها الساذجة والوانها الثابتة • فبدوا صورا لحضارة عريقة في سبيلها الى التحلل •

ان عصرنا هذا عصر الفلسفة العملية والتصنيع والحركات العامة التي يبدو ان السلم والحرب فيها يتوقفان على صنعة دائمة التعقيد • ففي جانب نرى اولئك المشاركين في الصناعات العملية في الولايات المتحدة يدعون لاستئناف التسلـــح النووي وفي الجانب الآخر تقبع تلك المهارات الخفية المنبثقة عن المهارات النفسية التي هي وليدة الثورة السوفياتية • ان كلمة « السوق » قد تظل مستعملة بمـــا فيه الكفاية ولو ان ذلك غالبا ما يكون بشكل ادراك منحرف او مزيف • غير ان علم السوق وفنه قد اصبحا من محتويات المتاحف اسوة بعلبة سعوط فردريك الكبير وقبعة نابليون • ان (كلاوز فيتز)[1] وحده لا زال يحافظ على مكانـــة معينة مع ان قليلا من الناس من قرأه حقا وان حقيقة وجود بعض المؤمنين الاذكياء في معبده تعود اساسا للثناء الذي اسبغه لنين عليه[2] •

مع ذلك فعالمنا اليوم بودقة لاحداث كبيرة • وكما سنرى فالمسيرة البطيئة

---

(١) كلاوزفيتز ـ فون كلاوزفتز ـ ضابط الماني ولد سنة ١٧٨٠ ووصل فـــي الخدمة لرتبة عقيد • قام بدور هام في اعادة تنظيم الجيش البروســـي بأمرة الجنرال (شار تهورست) • وضع مؤلفا عن الحرب دعاه (فن الحرب) ناقش فيه طبيعـة الحرب ونظريتها والسوق والقتـال والدفاع والهجوم ••• الخ ويتضح من هذه الدراسة تأثره بفلسفة (كانت) وقد تطرق مؤلف الكتاب الى بعض نظرياته السوقية •

(٢) قال كلاوزفتز (الحرب تكملة للسياسة ولكن باستخدام وسـائل اخرى) وعلق لنين على ذلك بان جعل هذا القول (قاعدة نظرية لمعنى كل حرب) •

الجليله للتاريخ تكشف لنا واحدا من اعظم الاضطرابات الانسانية يمر به العالم منذ سقوط روما . ان من سعادة الناس انهم يجهلون ما يجرى ، ولا شك ان هذا هبه من الطبيعه تساعدنا خلال هذه الفترة الطويله والصعبه . هناك دلائل على ان بعض الناس قد بداوا محاوله فهم هذه الظاهرة ، وفرض بعض التأثير عليها ، ومع هذا فهم لازالوا متخلفين يلهثون خلف مسيرة الاحداث ، وبعد فترة سبات تافهة ، بدا الاقتصاد الذى اعلنه ماركس كعامل مسيطر يخرج الان من المطهر[1] ليظهر بشكل عام (او باى مستوى كصنعه) تثمر تنبوءات يعول عليها اكثر . ان العلوم الاجتماعية تتطور بسرعه وهي عطشى لتطهير مجال عملها الواسع من الطفيليات . ان اهمية قضية الدفاع واضحة في هذه الثورة . وفى امريكا بصورة رئيسة عدد متزايد من المحللين كرسوا انفسهم لهذه القضية محاولين جمع هذه الذخيرة من المعرفة التى ينبغي ان تكون اساس التقدم . ولكن فى هذا التقدم البطىء الاليم الذى قامت به العلوم الاجتماعية وهى المصدر المرشد، فان فلسفة السوق وفكرته العملية قد ضاعت ، وهذان مجالان للفعالية الذكية ، التى لفتت بعض النظر اليها حديثا ، لازالا مهملين ومتأخرين .

منذ اربعين سنة وانا مع هذه الاحداث الكبرى في ايامنا ، على المسرح حينا ومع المتفرجين حينا آخر ، فاصبحت مقتنعا بان افتقادنا لهذين الضوئين هو سبب ما تعرضنا له من تهديد منتظم . اننا بافتقادنا لفلسفة ولاسلوب حياة ، عدونا ازاء ريح التغيير واذعنا لهجوم فلسفات اكثر زخما صنفت ضدنا . انها بحد ذاتها قد تكون قليلة الصواب ، كما يظهر على الاغلب ، ولكن هذا يهمنا اقل مما تهمنا حقيقة ظهور هذه الفلسفات على السطح ككيانات مترابطة . وعلى غرار هذا فاتنا بافتقادنا الى السوق لم نكن قادرين على فهم المناورات التى كان خصمنا يحاول بها اسقاطنا بينما نحن نوجه على الدوام كل جهودنا فى دروب لاآخرلها.

---

(١) المطهر – في العقيدة الكاثوليكية مكان بين الجنة والنار (على حافة الجحيم) تتلبث فيه النفوس غير الطاهرة لتنقى من ادران الخطيئة .

ففي مارت سنة/١٩٣٦ ابرز هتلر عجزنا عن الرد ومنذ تلك السنة حتى سنة/١٩٣٩ تحرك للامام بسلسلة من القفزات . وتركناه يسير حتى اكتفينا ثم رددنا عليه بعدها باطلاق عقال الكارثة التى لم تبرهن الا على انها مهلكة لنا ، والاكثر تأكيدا لذلك هو ان منظومتنا العسكرية قد اسست على مقدمات زائفة لانها ابنت على التعبية وحدها ، على تعبية فات اوانها ، فانهارت فرنسا وخرت معها اوربا الى الهاوية . ان الانجلو ساكسون هم الذين دبروا مراحل المسيرة من سنة/١٩٤٢ حتى سنة/١٩٤٥ تلك المسيرة التي انتهت بالظفر ، ذلك لان لديهم فلسفة وسوقا ، ثم اننا حالما وصلنا الى النصر تفرقنا عن جادة الصواب مرة اخرى بالاسلوب الجبار الموسوم باسم مقاومة الاستعمار وترك المستعمرات . فقد خسرنا الهند الصينية لاننا ، مع ان تعبيتنا كانت ممتازة ، فقد دحرنا سوق معاد لم يكن لدينا عليه رد سوقي يستحق هذا الاسم . وعلى الرغم من هذه التجربة فقد اقترفنا الخطأ ذاته على نطاق واسع لا غير . لقد كانت السويس نصرا تعبويا قادنا الى اندحار سياسي مخيف لاننا لم يكن لدينا اي تلميح للمتطلبات السوقية الحيوية لنجاح هذا الانجاز . لقد قدمت هنا عددا من النكسات الفرنسية لكني استطيع رسم صورة مماثلة سوداء او بيضاء لكوريا ، وكوبا ، وبرلين ، وحلف شمالي الاطلسي ، وبالنسبة لي فالنتيجة التي لا مفر منها هي ان الغباء السوقي في معظم الحالات كان خطأنا المميت .

ان سبب هذا الغباء مفيد وسالفت النظر له في هذا الكتاب . ان الحقيقة المهمة على كل حال ، هي ان المنتصرين سنة/١٩١٨ فقدوا الاهتمام بالسوق لانهم تعلموا ، ان لا سوق كهذا ـ السوق الذي مارسوه ـ بل انهم اعتبروه كل فن السوق بل غاية منتهاه .

لقد اثبت هذا السوق الغريب زيفه . لذا تحطم الوثن ولم يدرك احد منهم ان الوثن قد خيبهم ، ذلك لانهم انفسهم قد خانوه .

ان بيت القصيد كما سنرى لا يمكن ان يكون عقيدة منفردة محددة ، أنه اسلوب تفكير ، غايته تنسيق الحوادث وترتيبها حسب نظام اسبقية ومن ثم اختيار

مسلك العمل الا بعد اثرا • سيكون هناك سوق خاص يناسب كل موقف • وان اي سوق معين قد يكون افضل ما يمكن في مواقف معينة واسوأ ما يمكن ادراكه في مواقف اخرى • تلك هي الحقيقة الاساسية •

وبشأن اختيار الاسلوب فاني لا اقصد بالطبع التدليل على ان ذلك سيقتصر على المجال العسكري فقط • ان كلا منا يعرف ان الحرب في ايامنا حرب شاملة وهذه حقيقة معترف بها ، وبكلمات اخرى فانه ينبغي ان يتم لا في المجال العسكري فحسب ، بل في جميع المجالات ، سياسية ، اقتصادية ، دبلوماسية ام عسكرية • وهذه بكل ما تحمله من تأكيد متباين تعتبر نوعا من الحرب الباردة (وقد اشرت لها بتعبير « حرب في السلم سنة/١٩٣٩ ») [١] • وسواء كانت الحرب باردة ام غيرها فالسوق ينبغي ان يكون شاملا • ان هذا المتطلب يثير لنا بشكل حاد قضية العلاقة ما بين السياسة والسوق ، وبالوقت ذاته يساعد على فهم المجال الحقيقي لنشاط اى منهما وتبرز لنا نتيجة غير ذلك وهي ان السوق لا يمكن ان يظل من مستلزمات الامور العسكرية ترعاه وتحتويه • اني احبذ تلك النتيجة شخصيا ، اذ عندما يتوقف السوق عن ان يكون خفيا ، فان نشاطا اختصاصيا يمكن ان يقع ضمن خط طرق التفكير ليصبح كما هو عليه الآن – ذخيرة من المعرفة تنمو باستمرار مع كل جيل ، لا طريقة متعبة مستمرة من اعادة التفكير ملونة بما يجرى في تلك الآونة •

ان عصرنا هذا بالغ الصعوبة وقد ادرك الانسان فيه سيطرة كبيرة على الطبيعة كي نسير على ضوئها كما نفعل فعلا منذ القدم • والحرب التي كانت رياضة الملوك اصبحت اليوم مشروعا يحتوى الكثير من الخطر المميت • ان حضارتنا تتطلب علما هو علم انجاز العمل ، او استخدام المصطلح الذي صاغه (رايموند آرون)[٢] وهو علم التجاور المحورى في الاعمال وفي علم كهذا

---

(١) السلم والحرب بين الامم – تأليف رايموند آرون – صفحة (١٤) •
(٢) ريموند آرون – أحد الفلاسفة الفرنسيين المعاصرين وهو في الوقت الحاضر من أعمق الفلاسفة المحليين لعالمنا السياسي والاجتماعي ويعتبر من فلاسفة التاريخ • المترجم

يستطيع السوق ان يلعب دورا رئيسا ولابد له من ذلك • ان السوق هو الذي ينبغي له ان يؤكد ان القرارات المتخذة لعضد سياسة معينة هي قرارات واعية ، امعن التفكير فيها • وهذه هي الغاية التي ينبغي ان يبحث عنها في كل فحص للسوق وهي الغاية التي وضعتها انا شخصيا •

قد يصيب القارىء العجب لان كتابي هذا لا يشبه اغلب الكتب من هذا الطراز ، لانه اقل من انتفاعه بالتاريخ • فالاشارة للحوادث الماضية غالبا ما لا تعدو كلمة مفردة ، كاسم قائد او حرب • والسبب الاول لهذا اني حاولت الاقتصار على جوهر القضايا الذي هو في الواقع حقائق ، وعلاوة على ذلك فاني لم اذهب بعيدا كما ذهب بول فاليرى ، اني اعتقد ان التاريخ يمكن استخدامه تقريبا للبرهان على اية نتيجة • وعلى غرار ذلك ، ومع اني اكدت بكل شدة على اهمية العامل النفسي فقد مررت بلطف عبر المظهر العاطفي للحرب ، ذلك المظهر الذي اصبح منذ عهد كلاوزفتز وفوش موضوعا كلاسيكيا للدراسة • لقد حاولت ادراك المعادلات الجبرية التي تكمن في مظهر العنف المعروف بالحرب العنصر اللا معقول ، الذي نعترف بانه يلعب دورا مهما ، وينبغي لنا ان نعتبره بحد ذاته عقلانيا •

ان الموضوع بالغ التعقيد الى حد يحتمل معه ان لا استطيع بكل وضوح تقديم تلك الحقائق التي ارغب في تقديمها والتي تظهر لي وكأنها القواعد الجوهرية للعمل المنطقي ان هذا الكتاب ينبغي ان يعتبر تشذيبا تمهيديا لذلك المجال • ولقد اخذت على عاتقي كتابته آملا ان يكون على ما قد يظهر من الاستعجال الرائد للاعمال الاخرى المصممة لانعاش وتجديد شباب فن السوق الذي لا يموت والذي تشتد حاجتنا له في العصر الحاضر •

الفصـــل الاول

تخطيط عـــام في الســـوق

هناك اليوم كثيرون ممن يزاولون السوق دون ادراكهم لمحتواه ، مثلهم فى ذلك مثل السيد (موليير • م • جورديان) الذى اعتاد كتابة النثر الجيد دون ادراك محتواه • غير ان ممارسى السوق يختلفون عن هذا الكاتب فى ان تكوين سـوق جيد اصعب من كتابـة نثر جيد ونلمس صحة ذلك في انه على الرغـم من استعمال كلمة (السوق) مرات عديدة ، فقليل هم الذين _ يفهمون المعنى الحقيقي لها _ انها دون شك احدى الكلمات التي نستعملها بكثرة ولكن قليلا ما نفهمها • هناك اسباب عديدة مختلفة لخيبة الفهم هذه • ان كلمة (السوق) التي استعملت كثيراً ولفترة طويلة كانت تعني بكل بساطة ، علما او فنا يزاوله القائد الغام • ويتضح من ذلك اقتصار مزاولة السوق على نفر يسـير من الناس اما اسراره فكانت تنقل من جيل الى آخـر عن طريق عملية خفية للاقتداء بالمثـل التي يضعها قادة بارزون يتركون اثرهم فيمن يلونهـم على غـرار الاثر الخفى الذي يتركه اساتذة المهن والحرف الاخرى لدى العاملين معهم • لقـد كان التطور في القتال بطيئا ويلوح من هذا السياق (التجريبي نوعا ما) انه يسـد الحاجة مع ان الحرب عملية اكثر تعقيدا جدا من هندسة البناء •

ان فكرة الاثر الخفى التقليدى بدت غير وافية خلال فترات التطور ففى تلك الفترة والحالة هذه اظهرت ادارة الحركات مشكلات عويصـة ادت الى « افلاس الاراء » مما اوقف الطبقة العليا للمجتمع وجها لوجه مع المشـكلات السوقية الراهنة وقتئذ ، بدلا من قيام امير او قائد بذلك وفى هذه الحالة كانت النتيجة جهدا عقليا فى حقل السوق • وكان هذا الجهد يتبع من حيث الاساس التيار الفكرى فى ذلك العصر • فعصر النهضة ، مثلا ، بحث عن اسرار القتال

وقتئذ فصاعدا حتى (فجنيوس)[1] والمؤرخين القدامى • وقد انتج القرن الثامن عشر عن طريق التعقل الخالص طرق التفكير العسكري التي استعملت فيما بعد باسلوب بارع من قبل نابليون ، اما القرن التاسع عشر فقد اعمته انتصارات نابليون ، وتصور انه بها يستطيع ايجاد حلول لمشكلاته ، ومع ذلك فان القرن التاسع عشر ، في شخص (كلوزويتز) انتج نظريات – بعضها فلسفية والبعض الآخر اجتماعية تقف بين (كانت)[2] و (كارل ماركس) • ان الادراك الرومانتيكي لهذه النظرية كان احد الاسباب الرئيسة لشكل القتال المبالغ به في القرن العشرين ، لقد اتصف القرن العشرين بتبديل عظيم في فن القتال ، ومع ذلك فلا زال السوق في هذه اللحظة الحاسمة يقبع في الظل بعيدا عن النور • ان حرب الخنادق في السنوت ١٩١٤–١٩١٨ اعتبرت دليلا على افلاس السوق • ان اعتبار السوق من العلوم التي يطل استعمالها كان بادىء ذي بدء في فرنسا (كانت فرنسا ذات نفوذ كبير ذلك الوقت) حيث اعتبر عملية فكرية متعلقة بالحرب لم تعد تساير التطور • ان مسألة التطور هذا بدت تفضل المادة على الافكار ، وتفضل الجهد الحربي على المناورات العسكرية، والصناعة و العلم على الفلسفة، وقد ارتدت وجهة النظر هذه رداء الواقعية، ونتيجة لذلك اعتبر رجال السوق ادعياء فاتهم الزمان • وكانت كل الجهود مركزة على التعبئة والمعدات الحربية ومع ذلك بالنظر لسرعة التطورات فان تلك كانت هي اللحظة التي

---

(١) فيجيتوس ريناتوس فلافيوس قائد روماني بارز له بحوث وآراء عن المعركة في زمنه ، الف كتابا بهذا الشأن تطرق فيه الى اختيار الجنود وتدريبهم والمسيرات والمعسكرات والتحصينات كما تطرق الى استخدام الخيل وادارتها وعلاجها (البيطرة) باحثا عن الاسباب الطبيعية للمرض •

(٢) عمانوئيل كانت – فيلسوف الماني ولد سنة ١٧٢٤ في مدينة كونكسبرج درس العلوم الرياضية والفلسفية في جامعة كونكسبرج وهو من انصار الفلسفة النقدية وكان ممقوتا من الحكومة البروسية لمعارضتها لافكاره التحريرية وقد انشأ نظرية فلسفية حاول فيها ايجاد القوانين والحدود لمعرفة الانسان وتجنب المذهب الاعتقادي • – المترجم –

لابد فيها من التكهن بنظام راق فطين ، والسوق وحده هو الذى يستطيع ايجاد ذلك • والنتيجة كانت اندحار فرنسا سنة ١٩٤٠ وفى الوقت ذاته خيبة المانيا فى التهام وهضم انتصاراتها ، وسبب كلا الامرين كان التقدير الخاطيء للموقف لان كلتا الدولتين كانتا قد قدرتا على اساس ضيق جدا • وتبع ذلك انهيار سيادة اوربا مخلفة عملاقين وجها لوجه : الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي • ان التصادم المرعب بين ـ الاثنين ، خصوصا مع وجود السلاح النووى حرى ان يحجب المشاكل الحقيقية للسلم والحرب ولكنه لا يخفى حقيقة عدم وجود رأى بامكانه حل هذه المشكلات • نحن نقول بان سبب كل هذا هو السلاح النووي الجديد غير اننا نعجز عن ادراك ان الواقع ليس ذلك بل هو انعدام الفكرة الشاملة التى تمنعنا من التعبير والسيطرة على عملية التطور والارتقاء •

كانت هناك محاولة من الجانب السوفياتي لاستعمال الماركسية كنقطة انطلاق ، اد طور (ستالين) نظرية الحرب الشاملة على اساس اجتماعى ، ولقد تبددت هذه المحاولة بفعل التطورات الفنية • اما لدى الجانب الامريكى فبينما كان الناس يخدمون رأى (كلوزفيتز) بدراسات شفوية،تراهم ينغمسون عجلين فى محاولة حل جميع المشكلات الفنية بشكل يستند على التقنية • ان هذا الموضوع كان من الاهمية بحيث اهتم النابهون اخيرا باتباع الاتجاه العلمى ليبدأوا بحثهم عن حل مناسب على اساس ترتيب تحليلى • وسرعان ما اصبح لكل جامعة امريكية معهد للبحث برؤوس اموال وافية تحت تصرفه ، فتراكمت كمية هائلة من الاوراق وتم تكوين رأى مجرد ذى تعقيد مدرسي ومع ذلك فقد ظهر اعراض تدريجى عن بعض العناصر الهامة الضرورية للمرحلة الحاضرة •

وعلى كل حال فان هذا الغليان الفكرى المحموم نادرا ما اثر على اوربا •

ان قسما من المادة كان يدرس عرضا ولكن المعتقد بوجه عام ان تبنى الاصطلاحات الفنية وتبنى استخدام المهمات الحربية الامريكية يكفى ، وسبب ذلك ولو لم يعترف به احد ، بقاء اعتقاد الناس بان المعدات افضل واهم من

الاراء والافكار وعلى الرغم من اراء (رايموند آرون) فى فرنسا و (ليـــدل هارت) في انجلترا فان القضايا السوقية لم تؤثر على عامة الشعب او فى الحقيقة على الجيش الذى استمر فى تفكيره المبنى على اساس التقدم الفنى والتعبيـــة • ومع هذا فالاهمية الراجحة لظهور السلاح النووى والنتيجة المحزنة فى الهنـد الصينية ومصر والجزائر ادت لظهور اعتقاد غائـم بالحاجة لتفهم افضل للظاهـرة المتعلقة بالحرب • وهكذا فمن الطبيعى ان نأمل انبعاث خطط السوق ، التى حكم عليها بالاعدام سنة ١٩١٥ واستعادتها زهوها والايمان بها مرة اخرى •

« تحليـــل الســـــوق »

(معنـــى كلمـــة الســـوق)

ماذا تعنى كلمة السوق •••••• ؟

انها حسب المفهوم التقليدي للسـوق العسكري ، استخدام القوى العسكرية لنيل الغايات التي يقررها النظام السياسي • ان هذا التعريف وضعه (ليدل هارت) سنة ١٩٢٩ ولا يختلف كثيرا عن تعريف (كلوزفيتز) • وفى الكتاب الذى الفه (رايموند آرون) مؤخرا ، نراه ياخذ بهذا التعريف كلمة فكلمة •

ومن وجهة نظرى فان هذا التعريف مقيد الى حد الافراط لانه يهتـــم بالقوى العسكرية فقط • اما انا فساعرف السوق بانه (فن تطبيق القوة لاسداء اكبر مساهمة فعالة لنيل الغايات التي يقررها النظام السياسى) • وعلى كل حال فان هذا التعريف يمكن تطبيقه على فن الحرب باجمعه • وهذا امر معقـــد لان التقاليد العسكرية قسمت فن الحرب الى سوق وتعبية وقسم فرعى ثالث ظهـر مؤخرا هو الشؤون الادارية فاذا لم يكن السوق تعبية ولا شؤونا اداريـة فمـاذا هو اذن ••••• ؟

من الواضح ان التعبية هى فن استعمال الاسلحة فى المعركة بطريقة تتيح لها اظهار اقصى الاثر ، اما الشؤون الادارية فهو علم التموين والتنقل وكلاهما

متعلقان بتفاعل العوامل المادية ، فهما في طبيعتهما اذن اكثر اقترابا من العلــوم المادية ، كالهندسة مثلا .

لقد اوضح لويد الفرق (مابين وميض العبقرية المقدسه) و (تفاعل القوى المادية). وحسب تفسير نابليون كان (وميض العبقرية المقدسة) هو السوق بعينه وعليه فان محض خطوة تكفي - وهي غالبا ما تتخذ - لاعتبار السوق بمســتوى وميض العبقرية ولكن العبقرية كما يقال تعني الطاقة الهائلة لتحمل الالام والمشــاق وسواء كان وميض العبقرية موجودا ام لا فان السوق ينبغي ان يبنى على التفكير والتعقل. وعليه فاذا لم يكن السوق علما ماديا ولا ادراكا سياسيا فما هو اذن. ؟ ان جوهر السوق ، في نظري ، هو التفاعل المجرد ، الذي هو حسب تعبير فوش ينبع من تصادم ارادتين متضادتين ، انه الفن الذي يمكن الانسان ، بغض النظر عن الاساليب المستخدمة ، من السيطرة على القضايا الناجمة عن تصادم الارادات. وبالنتيجة استخدام الاساليب المتوفرة بكفائة هائلة . لذلك فانه في منطق القــوة وبتعبير ادق (فن الجدال ما بين ارادتين متضادتين تستعملان القوة لفض النزاع بينهما) .

ان هذا التعريف سيتصف بكونه مجردا وصريحا جدا وعاما في نصوصه وعلى هــذا المستوى ينبغي ان نعتبر السوق ، اذا ما اردنا ان نفهم طـرق التفكير المتعلقة بذلك والقواعد التي تبرز منها .

« غايـــة الســـوق »

حالما نشرع بسبر غاية السوق فان اهمية التعريف انف الذكر تصبح جلية. سيكون متفقا عليه ان غاية السوق تحقيق الاهداف المقررة التي تضعها السياسة ، منتفعا افضل ما يمكن من المصادر المتوفرة. قد يكون الهدف تعرضيا بطبيعته مثل (قهر الخصم او فرض شروط قاسية عليه) وقد يكون دفاعيا مثل (حماية المناطق او مصادر معينة) او قد يكون ادامة الوضع السياسي الراهن لذلك فمن الواضح ان القواعد العسكرية مثل تلك التي تنسب الى (كلوزفيتز) . القرار هو نتيجــة

النصر في المعركة ، ليست قابلة التطبيق على جميع انواع الاهداف فهناك فقط قاعدة عامة تنطبق على الجميع وهي (غض النظر عن الاسلوب الموصل الى القرار وخذ بنظر الاعتبار النتيجة التي ترغب في تحقيقها) • ان النتيجة المرغوبة هي اجبار العدو على تقبل الشروط التي نرغب نحن في فرضها عليه • وعن طريق صراع الارادات يمكن التوصل الى قرار عندما يخلف ذلك الصراع اثرا نفسيا معينا على العدو ، اي عندما يقتنع العدو بعدم جدوى شروعه او استمراره في الصراع •

ومن الطبيعي انه يمكن تحقيق هذه النتيجة بالنصر العسكري عندما لايكون هناك مفر من ذلك وقد لا يمكن تحقيق النصر العسكري مثلا ـ ضد ثوار الجزائر ـ او قد تكون هناك اساليب اخرى اكثر تأثيرا كما حدث ان برهن على ذلك بصورة متكررة واذا نظر الى المشكلة من الزاوية الصحيحة ، تلك التي تخص رد فعل العدو النفسي ، يمكن التوصل الى تقدير صائب لماهية العوامل الحاسمة • وبالدليل ذاته نكون قد رسونا على طريقة فكرية قابلة للتطبيق على السواء في حالة النصر العسكري في الميدان وفي السوق الجديد المزعوم المسمى (سوق الردع النووي)

لقد وضع لينين ـ عند تحليله لكلوزفيتز ، قولا كثيرا ما استشهد بعضهم به ، يظهر لنا ان العامل الحاسم هو العامل النفسي ، حيث قال « ان السوق الاكثر صوابا في الحرب هو ارجاء الحركات الى ان يتيح لنا التحطم المعنوي للعدو القيام بضربة قاضية ممكنة وسهلة » لقد كان لينين على كل حال يفكر كشخص ثوري اذ اعتبر العمل السياسي نوعا من استحضارات المدفعية وهذا بالضبط عكس مفهوم كلوزفيتز الكلاسيكي الذي ينص على تحطيم معنوية العدو بالنصر العسكري • لذلك فاني ارى ان بالوسع وضع قاعدة عامة كما يلي « يتم الحصول على قرار بتكوين موقف يؤدي الى تدهور معنوي للعدو واستثمار ذلك الموقف لدفع العدو نحو تقبل الشروط المرغوب فرضها عليه » •

ذلك هو المبدأ الموجه في ديالكتيكية الارادات المتضادة •

الوسائل المتاحة للسوق

ان العملية الصائبة للتفكير والتبصر تصبحاكثر وضوحا عندما نتأمل الوسائل التي يستخدمها السوق وللتوصل الى القرار المطلوب ينبغي ان تتوفر للسوق كل الوسائل متسلسلة وتشمل هذه ، الوسائل المادية والمعنوية على حد سواء ، متدرجة من القصف النووي الى الدعاية فالاتفاق التجارى • ان فن السوق يشمل اختيار اكثر الوسائل ملائمة من بين الوسائل المتوفرة ، وبالتالي تنسيق النتائج التي توحد لتحدث ضغطا نفسيا كافيا لاحراز التأثير المعنوى المطلوب • ولاختيار اكثر الوسائل ملائمة ، فان نقاط العدو الواهنة ينبغي ان توضع مقابل مقدرتنا على البت باختيار الوسيلة • وللقيام بذلك فمن الضرورى تحليل التأثير المعنوى الحاسم المنشود • ترى من نريد ان نقنع باهدافنا ••• ؟ الواقع انه ينبغي لنا في النهاية اقناع حكومة العدو ، ولكن في بعض الحالات ، قد يكون من الاسهل التأثير على الشخصيات المتزعمة البارزة مثلا (تشمبرلين)[1] في (بادكود سبرج او في ميونيخ)[2] وذلك باختيار البراهين والمناقشات التي يتأثرون بها • وكبديل لهذا فمن الافضل التأثير مباشرة على قطاع خاص من الرأى العام له نفوذ ما على الحكومة ، او التأثير على حكومة حليفة ذات نفوذ عن طريق الامم المتحدة ، فان

---

(١) ارثر نيفل تشمبرلين ـ (١٨٦٩ ـ ١٩٤٠) احد مشهوري الساسة البريطانيين اشغل في حياته العملية عدة وزارات وفي سنة ١٩٣٧ انتخب رئيسا للوزراء عن حزب المحافظين وفي اوائل سنة ١٩٣٨ ـ ايد الغزو الايطالي للحبشة وفي ايلول ١٩٣٨ اجتمع مع موسوليني وهتلر وعقدوا معاهدة ميونيخ المعروفة •

(٢) مدينتان اجتمع فيهما هتلر وتشمبرلين للمفاوضة في المشاكل الاوربية وقتئذ • وفي ميونيخ وقعت معاهدة ميونيخ في ٣٠ ايلول ١٩٣٨ وقعها هتلر وموسوليني وتشمبرلين وادور ديلاديه سمحت لالمانيا باقتطاع اجزاء كبيرة من جيكوسلوفاكيا اهمها (ارض السوديت) وكان سبب عقد هذه المعاهدة تهدئة هتلر ومنع استفحال الخلاف بين المانيا وحليفاتها وانكلترا وحليفاتها لدرجة تستوجب الدخول في الحرب ومع هذا استمر هتلر على اسلوبه في النهش فاحتل جيكوسلوفاكيا واستولت بولنده على اقليم التشن وهنغاريا على جنوب سلوفاكيا ولم تؤد التهدئة الى نتيجة ما واخيرا اعلنت الحرب العالمية الثانية • ـ المترجم ـ

كان موضوع الخلاف ثانويا فقد تكون مثل هذه الضغوط كافية وان كان اكثر اهمية فان الاجراء المقرون باستعمال القوة قد يكون ضروريا ، ولكنا هنا مرة اخرى ، ينبغي لنا في عملية اختيار الوسائل ان نحسب حسابا وافيا لنقاط العدو الواهنة من جهة ولقدرتنا من جهة اخرى وعلى سبيل المثال فقد يكون النصر العسكري من النوع التقليدي بعيد المنال او ينطوي على مجازفة هائلة . واذا كان الامر كذلك فهناك طرق عديدة متوفرة :- مثل ، فتنة ثورية هدفها تمهيد السبيل لعمل عالمي مثل حركة السوديت الالمان قبل مؤتمر ميونيخ ، او فتنة ثورية هدفها اسقاط الحكومة - مثل اسقاط حكومة براغ سنة ١٩٤٨ - او الضغط الاقتصادي مثل - العقوبات الاقتصادية ضد ايطاليا في سنة ١٩٣٥ - او حملة حرب عصابات طويلة الامد مقرونة بضغط عالمي مثل - حركة الفيت منه او الثورة الجزائرية . ترى أي من هذه الطرق البديلة الممكنة قد احسن تقديره ليخلف تأثيرا حاسما على تفكير قادة العدو ... ؟ وان وجب في النهاية القيام باجراء عسكري فما هو هدفه ... ؟ هل هو « تدمير قوى العدو المسلحة » حسب مبدأ (كلوزفيتز) .. ؟ وهل سيكون هذا ممكنا .. ؟ واذا لم يكن فهل سنكتفي بنجاح محلي مثل (حرب القرم سنة ١٨٥٤)[1] واذا كان الامر كذلك ، فاين .. ؟ واى قسم من قوات العدو المسلحة حيوي له ، على سبيل المثال (البحرية او القوة الجوية في انكلترا او الجيش في فرنسا) ، واية منطقة جغرافية هي حيوية له..؟ هل من الضروري احتلال عاصمته ام ان ذلك عديم الجدوى هل يكفي تهديدها بالدمار ..؟ وهلم جرا .....ان هذا النوع من التحليل يجب ان يستمر الى ان نكون قد افردنا تلك الوسائل التي لنا القدرة على استعمالها والتي تكون بالوقت ذاته كافية لاصدار القرار المطلوب .

---

(١) حرب القرم - حرب اعلنتها تركية على روسيا في ٤ تشرين الاول ١٨٥٣ واشتركت فيها انكلترا وفرنسا مع تركيا ضد روسيا . وتعتبر معركة سواستبول اخطر معارك هذه الحرب . انتهت الحرب هذه بمعاهدة باريس. والسبب الظاهري لها نزاع حول حراسة الاماكن المقدسة في القدس مابين الكنيسة الكاثوليكية والارثوذكسية . ابرز الامور العسكرية فيها سوء الاحوال الادارية والطبابة واسلوب الادامة .

- المترجم -

« الخطـة السـوقية »

يمكننا الان بعد ما اجرينا من تحليل ، المباشرة بوضع الخطة السوقية . نحن نعالج قضية جدليات ، اذ يجب حساب ردود الفعل الممكنة لكل عمل مزمع واتخاذ الاحتياطات ضدها . قد يكون رد الفعل هذا عالميا ، قطريا سياسيا ، اقتصاديا او عسكريا . كل عمل من الاعمال المرسومة المتعاقبة بالاضافة الى رد فعل العدو ينبغي ان يوضع في كيان شامل متلازم والغاية من ذلك الاحتفاظ بالمقدرة على الاستمرار في تنفيذ الخطة على الرغم من مقاومة العدو ، فاذا كانت جيدة فلن يكون هناك خطر الانتكاس وستكون النتيجة سوقا ضد المخاطرات غايته احتفاظنا بحرية العمل .

ومن الطبيعي ان السوق ينبغي ان يكون صورة جلية لسلسلة الحوادث كلها والتي تؤدى بنا الى القرار النهائي ، ولابد لنا ان نسجل عبر الموضوع ان تلك لم تكن حالتنا في فرنسا سواء في سنة ١٨٧٠ ام في سنة ١٩٣٩ ، ولا في الهند الصينية . وينبغي ان لا يغيب عن البال بان الصراع الديالكتيكي بين خصمين سوف يتعقد اكثر بسبب حقيقة القيام بتمثيله فيما بعد على المسرح العالمي . وقد يبرهن الضغط من جانب الحلفاء او حتى من جانب المحايدين على كونه امرا حاسما (كما في السويس) ، ولقد خسرت المانيا حربين لعدم ادراكها هذه النقطة ، حيث جعلت انكلترا ضدها بغزوها لبلجيكا والولايات المتحدة ضدها عن طريق حرب الغواصات . ان التقدير الصائب لتأثير الموقف العالمي على حريتنا للعمل هو اذن عنصر حيوي للسوق . ومما زاد من خطورة هذا الامر الآن ظهور السلاح النووي الذي اكد بكل قوة على اعتماد الشعوب وتعاونها فيما بينها .

« نمـاذج سـوقية »

يمكن تصنيف الخطط السوقية بصورة عامة الى عدد من النماذج المتباينة المعتمدة على طاقات نسبية متوفرة للجهات المتخاصمة وعلى اهمية القضية موضع الخلاف . والنماذج التالية هي الاكثر نمطية .

اولا :ـ

اذا كان الهدف ذا اهمية معتدلة والموارد المتيسرة كبيرة ،واذا كان محتملا ان يؤدي العمل المقصود لاشراك موارد حليف قوى في الحركات ، فان مجرد التهديد باستعمالها يمكن ان يؤدي الى قبول العدو بالشروط المراد فرضها عليه. وسيكون من الاسهل اجباره على التخلي عن بذل بعض الجهود لتعديل الوضع الراهن • ان هذا النمط من السوق (التهديد المباشر) اكثر شيوعا في الوقت الحاضر لظهور السلاح النووى وهذا هو اساس البناء المتين للسوق الرادع •

ثانيا :ـ

اذا ظل الهدف ذا اهمية معتدلة الا ان الموارد المتوفرة غير كافية لابداء تهديد حاسم ، عندها يجب علينا محاولة التوصل الى الهدف المنشود بوسائل اكثر مهارة ، وقد تكون هذه الوسائل سياسية او اقتصادية • وهذا النمط من السوق (الضغط غير المباشر) غالبا ما استخدمه هتلر والاتحاد السوفياتي ، لا بسبب الحاجة الى الامكانيات الضرورية لقسر العدو على الاذعان بل بسبب التأثير الرادع للتهديد المباشر من قبل قوات منافسيهم ، وهذا النمط من السوق يلائم الحالات التي تكون فيها حرية العمل محدودة •

ثالثا :ـ

اذا كانت حرية العمل والمصادر المتوفرة محدودة ولكن الهدف ذو اهمية عظمى فستكون هناك محاولة لبلوغ الهدف عن طريق سلسلة متعاقبة من الاعمال يمتزج فيها التهديد المباشر بالضغط غير المباشر مع استخدام محدود للقوة ، ان هذا النمط (تسلسل الاعمال المتعاقبة) استخدمه هتلر منذ سنة ١٩٣٥ حتى سنة ١٩٣٩ ، وكان ناجحا فقط عندما كان الهدف ذا اهمية صغرى وحالما اصبح (اسلوب النهش) الذي اتبعه هتلر يحتمل التأثير على الاهداف الحيوية لخصومه فقد وجد نفسه منغمسا في صراع هائل ولقد ادى الموضع الجغرافي لبريطانيا العظمى الى قيامها بتبني سوق التقرب غير المباشر ، وقد اقر (ليدل هارت) هذا

الاتجاه بوضوح • ان هذا النمط يلائم بصورة خاصة الشعوب ذات الوضع الدفاعي المتين (او محمية جيدا بصورة طبيعية) والتي ترغب التوصل الى نتائج خطيرة دون ان تستخدم غير مصادر تعرضية صغرى وان تقتنع بالوصول الى هدفها ببطىء • ان اسلوب التقرب غير المباشر بمراحل متعاقبة هو على الغالب من مظاهر حروب القرن الثامن عشر في اوربا وذلك لان المصادر المستخدمة حينئذ كانت يسيرة نسبيا •

رابعا :ـ

اذا كانت حرية العمل واسعة ولكن الموارد المتاحة غير كافية لتأمين قرار عسكري فقد يمكن الحصول على مصادر لتكوين ما يسمى بسوق الصراع الطويل الامد،وهدف هذا السوق تحطيم معنوية العدو وانهاك قواه•ولتأكيد القدرة على ادامة الكفاح لامد طويل فان الموارد المستخدمة تكون بدائية جدا لكن الفن المتبع لتطبيقها (عادة ما تستخدم الحرب الشاملة بصورة مبدئية تعبية حرب العصابات بشكل واسع) يجبر العدو على بذل مجهود هائل بحيث لا يستطيع معه ادامته • ان سوقا من هذا النمط كفاح وصمود طويل الامد ولكن على مستوى منخفض من الكثافة العسكرية ، قد استخدم بنجاح على العموم في حروب تحرير المستعمرات•

ان ــ ماوتسي تونغ ــ هو عميد العاملين بهذه النظرية • وجدير بالملاحظة ان هذا السوق يتطلب تحملا معنويا ملحوظا من جانب الذين يمارسونه وهو يتطلب وجود عنصر عاطفي قوى يتصدر الكفاح وعاطفة عالية متطورة للتماسك الشعبي والفداء الوطني • وهو بهذا اكثر ملائمة لحروب التحرير • لكنه يمكن ان ينجح فقط اذا كانت القضية موضع الخلاف اكثر اهمية لجانب دون آخر (كما في حروب التحرير) او اذا ما تلقى المحاربون العون من قوات مسلحة نظامية تعمل معها كقوة مساعدة مثل (حروب التحرير في اوربا سنة ١٩٤٤ـ ١٩٤٥ واسبانيا سنة ١٨١٣ـ١٨١٤) •

خامسا :ـ

اذا كانت الموارد العسكرية المتاحة بقوة كافية عندئذ يتطلب تنفيذ قرار ما من خلال نصر عسكري ، عليه سيكون الصدام قويا ولكن محاولة ما ستجري لتقصير امده • وقد يكون كافيا تدمير قوات العدو المسلحة في المعركة خصوصا اذا كانت القضية موضع الخلاف غير حيوية تماما للعدو والا وجب علينا احتلال كل جزء من حدوده للبرهنة على حقيقة هزيمته وابراز ذلك للراي العام كي يقبل بالشروط المفروضة عليه ، وطبيعي ان يكون احتمال قبول المغلوب للهزيمة اكثر لو توفر لنا رتل خامس يعمل في جانبه كما كان الحال في الثورة الفرنسية والانتصارات النابليونية • ان رتلا خامسا ما يستطيع بالطبع ان يلعب دورا هاما في تعضيد العمليات العسكرية • ان هذا النمط من السوق ، القتال الشديد المستهدف نصرا عسكريا ، هو السوق الكلاسيكي للعصر النابليوني • ان اكبر واضع لنظرية هذا النوع من السوق هو كلوزفيتز ، على الرغم من ان رومانسية الكثير من تلامذته غالبا ما شوهت نظرياته • لقد كان هذا النوع من السوق هو السائد خلال القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين وقد اعتقد الناس واهمين بانه السوق العدل الوحيد • لذلك سبب هذا الاعتقاد حربين عالميتين ١٩١٤-١٩١٨،١٩٣٩-١٩٤٥، تلك الحربان اللتان اظهرتا لنا تحديدات سوق نابليون-كلوزفيتز • ان العملية الجراحية وهي النصر العسكري تستطيع النجاح في التوصل الى قرار اذا كانت الامكانيات العسكرية وقتئذ تتيح للنصر العسكري ان يكون سريعا وكاملا • ان هذا الموقف (كما سنرى فيما بعد عند معالجتنا لسوق الحركات)يمكن ادراكه لفترات محدودة فقط في مجال عملية التطور تعبويا وحركيا • وبغض النظر عن هذه الفترات الشاذة فان السوق الكلوزفيتزي لا يمكن ان يؤدي الا الى وضع الخصمين الواحد مقابل الاخر في صراع عسكري هائل يؤدي الى موت الملك ـ كما في لعبة الشطرنج ـ ومثال ذلك (الحرب الموضعية عند نهاية سنة ١٩١٤) ومثل المانيا سنة ١٩٤٠ في تورطها بحملة يائسة في روسيا رغم انتصارها في اوربا • وفي هذه الحالة يتم التوصل الى قرار

فقط بعد فترة طائلة من الابادة المتبادلة للقوى والجهود التي خصصت للوصول الى النتيجة المهمة وفي النهاية يخرج الغالب والمغلوب من الصراع منهوكي القوى• ومن الجدير بالملاحظة ان تعاقب الحوادث هذا قد لوحظ في حالة نابليون الذي فشل تجاه كل من انكلترا وروسيا • ان انتصارات نابليون اعمت كلوزفيتز وتلامذته عن معرفة تحديدات سوق نابليون ومن المحتمل ان يكون خطأ التعقل هذا هو الذي كلف اوربا سيادتها العالمية •

« استنتاجات »

ان انماط السوق الخمسة الموصوفة اعلاه يجب اعتبارها امثلة اكثر من اعتبارها تبويبا مستفيضا • انها من الاهمية بصورة رئيسة لانها تبين تنوع المسالك الممكنة في الحركات والتي ينبغي على السوق ان يختار من بينها• انها اذن يجب ان تكون عونا لتفهم افضل لطبيعة واصل طريقة التفكير السوقي • ان طرق التفكير التعبوي المطبقة على التعبية او التجهيز والادامة ، تكون على الاغلب نظامية تماما وهدفها الاستخدام المعقول للموارد العسكرية المتاحة للوصول الى نتيجة ، ان طرق التفكير السياسية ينبغي ان تكون قادرة على تقدير ما يريده الرأى العام او ما يمكن ان يقبله • لذلك فان كلا من علم النفس والبداهة سيلعبان دورا ملحوظا • ان التفكير السوقي ، على كل حال ، عملية ذهنية منطقية ومجردة بآن واحد ، وينبغي ان تكون لها القدرة على توحيد كل من الحقائق المادية والمعنوية • ان رجل السوق ينبغي ان يتحلى بالقدرة على التحليل والتوحيد فالتحليل ضرورى لجميع الحقائق التي يبنى على اساسها التشخيص للخطة المطلوبة ، اما التوحيد فلانتاج التشخيص نفسه من بين هذه الحقائق والواقع ان التشخيص يبلغ حد الاختيار بين المسالك البديلة للعمل المطلوب •

وتنفع امثلتنا الخمسة ايضا لتبيان خطأ عدد من رجال السوق فقط • ان كلا من الانماط انفة الذكر لها روادها وان كلا منها مبني فكريا كما لو كانت النظرية الوحيدة وكما لو انه على كل حال ، افضل الحلول،وقد يكون كل واحد

منها في الحقيقة افضل حل ، ولكن في ظروف معينة • وبدون التحليل الكافي للعوامل الحاكمة على السوق فان اختيار مسلك للعمل يتم وفق العادات والتقاليد السوقية الراهنة ، ونتيجة لذلك فان الحكومات لم تستطع ضبط الحوادث• وقد ادى تصادم الاغراض الى كوارث عالمية مرعبة • ان العالم يمر اليوم بازمة لامثيل لها للتسوية (الصلح) وبالوقت ذاته فان العلم والتصنيع والفعل النفسي يؤثـر تأثيرا متزايدا على الفن العسكري وعليه ينبغي لنا الان اكثر من اي وقت اخـر تطوير اسلوب للتفكير يمكننا من السيطرة على الحوادث لا انكون تحت رحمتها ومن هذا يتضح سبب ومدى اهمية السوق ولماذا يعتبر قضية الساعة •

« فـــروع الســـــوق »

قد يكون السوق كيانا فريدا بقدر ما يتعلق الامر بالهدف والاسلوب ولكن عندما يجيء التطبيق فمن الضروري تجزئته الى اصناف سوقية اختصاصية ،كل واحد منها قابل للتطبيق في ميدان معين من ميادين الصراع • ان حقيقة وجوب السيطرة على السوق الى حد بعيد مع اختلاف مزايا العناصر المادية في كل ميدان من ميادين الفعالية يؤدي بالتالي الى سلسلة متباينة من النتائج قابلة للتطبيق في ذلك الميدان وحده وعلى سبيل المثال فالسوق البحري لايزال يختلف عن السوق البـري •

وعليه فنحن نواجه هرما حقا من اشكال للسوق متبـاينة يتعلق بعضهـا بالبعض الآخر وان علينا ان نعرف هذه الاشـكال بوضوح لو اريد سكبهـا في تسلسل افضل من الاعمال المنسقة التي تستهدف نفس الغاية الكلية •

في قمة الهرم وتحت السيطرة المباشرة للحكومة (السلطة السياسية)يقع السوق الاشمل ، ومهمته التعريف بكيفية ادارة الحرب الشاملة[1] ان مهمته

(١) ان مصطلح السوق الاشمل الملازم للحرب الشاملة يظهر لي اكثر وضوحا من مصطلح (السوق الاكبر) الذى يستعمل احيانا مـن قبل البريطانيين وبخاصة (ليدل هارت) او من مصطلح (السوق القومي) كما يستعمل من قبل الامريـكان • ان مصطلح (الدفـاع القومـي) لايفـي بالغرض ولا يستهدف غير بلبلة الافكار • المـؤلف

وضع الغاية لكل صنف من اصناف السوق الاختصاصية وتعين الاسلوب الذي توحد به جميع الجهود ... السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية سوية بكيان واحد .

من الواضح ان سوقا بهذا المستوى هو امتياز لرؤساء الحكومات يعاونهم رئيس اركان جيش الدفاع ولجنة او بعض اللجان الدفاعية ذات المستوى العالي ان الانماط السوقية الخمسة المشروحة آنفا كانت جميعها على مستوى السوق الاشمل . وقد وضحنا ان الاهمية النسبية لمختلف الميادين (سياسية ، اقتصادية، دبلوماسية ام عسكرية) تتباين حسب الظروف ، والحقيقة فان المظهر العسكري كان في المقدمة فقط في النمط الخامس من انماط السوق . وفي مستوى دون مستوى السوق الاشمل ينبغي ان يكون هناك في كل ميدان (الميدان الاقتصادي، والدبلوماسي ، والسياسي ،او العسكري) سوق شامل مهمته تحديد الواجبات والتنسيق بين مختلف انواع النشاطات ضمن حدود الميدان ذى العلاقة . ومن الضرورى هنا ان يلاحظ انه في الحقل العسكرى تكون فكرة السوق الشامل موجودة مسبقا وغايتها تنسيق العمل في البر والجو والبحر . وعلى كل حال فانه لا وجود للسوق الشامل في الميدان السياسي ، مثلا (التوفيق بين النظام السياسي العام ، والسياسة الداخلية ، والسياسة الخارجية ، والدعاية) ولا في الميدان الاقتصادي مثلا (التوفيق بين الانتاج ، السياسة المالية ، وتجارة ما وراء البحار) ، ولا في الميدان الدبلوماسي ومع ذلك ففي ميادين النشاط هذه يستخدم السوق يوميا على الاغلب دون ان يدركه احد . وبما ان الناس لا يدركون ذلك فانما يجري من الاعمال لا يعتمد على اية فكرة مستقاة من عملية تعقل نظامية وبذا يضيع الكثير من الفرص . والحقيقة فانه لابد من وجود سوق شامل لكل ميدان من ميادين الفعاليات ينفذه الوزير المختص بمساعدة رئيس اركانه او سكرتيره الدائم .

وفي اطار كل ميدان رئيسي فان كل فرع من فروع النشاط سيكون له تصنيف سوق خاص وهذا هو المستوى الذي تلتقي فيه الفكرة والانجاز وذلك

عندما ينبغي تحويل المثالية الى عمل ممكن في ضوء التحديات الفنية ،وفي الحقل العسكرى سمى الالمان هذه العملية الحيوية للترابط السوقى بـ (سوق الحركات) وسواء فهم ذلك ام لا فان كل فرع من فروع النشاط له نوع من سوق الحركات والقصد منه ليس التوفيق بين الغايات المقدرة من قبل السوق الشامل مع امكانيات التعبية ، والتعبية المستخدمة في فروع السوق ذى العلاقة فحسب بل للتأكيد من ان هذه التعبية قد طورت فى افضل الاتجاهات التى تلائمها لمواجهة المتطلبات السوقية المستقبلة ، لذلك فان سوق الحركات له دور حيوى يلعبه ، انه احد الامور التى غالبا ما اسيء تصورها ، لنأخذ مثلا (السوق الكلاسيكى) للحرب البرية ، فعند هذا المستوى يجب ان يحسب حساب العوامل التعبوية والادامية ... مثل (مقدار القوة بالنسبة لساحة الحركات قابلية الحركة التعبوية والسوقية ، الطاقة التعرضية والدفاعية) ان تأثير هذه العوامل هو الذى يقرر الشكل الذى ستتخذه الحرب « حرب خنادق،او حرب حركة ، قرار عسكرى سريع ، او معركة انهاك ... الخ » ولذلك فان هذه العوامل هى التى تقرر ماهية الممكنات السوقية . وبسبب عدم ادراك اهمية وآلية هذا المظهر السوقى فقد باغتتنا حرب الخنادق سنة ١٩١٤ وهزمنا سنة ١٩٤٠ ، وكان بالوسع ادراك ذلك وتفاديه في كلا الحربين،وبالاضافة فان هناك سوق لفترة السلم على مستوى الحركات مهمته الاولى تتعلق بانتاج التجهيزات الجديدة للتفوق على مالدى الخصم . ومع ظهور السلاح النووى فان هذا النمط السوقى (سوق فترة السلم) اصبح ذا اهمية فعالة فقد سمى هذا النمط السوقى « بالسوق الادامى » والى ان يقبل هذا كسوق حقيقى اضافة لكونه جامعا مابين الخزانة والنهج المالى ــ وحتى يوضع مكانه الصحيح فى الهرم السوقى ، فانه سوف لن يدار بكفاءة ولذلك فسوف لن يكون ثمن ماندفعه لادامة قوة الردع لدينا بشى بخساء من الواضح ان التحليل المار للتصنيف السوقى المتخلف لايسهل المعضلة بل انه مدى تعقد الموضوع ، يجب الاعتراف ، على كل حال ، بانه

رغم كون السوق فنا مجردا ، فانه يؤدى الى نتائج عملية ولان هذه النتائج العملية ، مكشوفة ، فانها تسهل ادراك التفاعل بين العوامل المختلفة وما لم ندرك ذلك فاننا سنكون غير قادرين على شن الحرب ولا قادرين على صيانة السلم •

مبادىء السوق

هل للسوق قواعد يمكن استعمالها كدليل فكرى عند اختيار مسلك للعمل •• ؟ لقد وضع السوق الكلاسيكى قواعد كهذه حتى ان هذه القواعد كانت بمثابة قوانين للتطبيق العام ذات مفعول دائم ونتيجة لذلك فقد اعتبر فنا ثابتا لاتغير فيه على النقيض من التعبية التي تتغير باستمرار نتيجة تطور التجهيزات والمعدات ، ولدينا اليوم اسباب معقولة للشك في ثبات السوق وعدم تغيره • ومع ذلك فاذا امكن تطوير قواعد السوق فانها ستشكل نقطة ثابتة يدور حولها التفكير السوقى وسيكون اسلوب تطبيق القواعد هذا معرضا فقط لعملية التطور نحو الاحسن •

من الصعب معالجة هذا الموضوع المهم بايجاز واننى اقترح ، على كل حال القاء نظرة سريعة على الافكار الرئيسة المتعلقة بهذه القضية ولكن سرعان ما يجد القارىء بان النتائج الممكن استخلاصها هزيلة نوعا ما •

نظرية

تتباين القواعد السوقية التى وضعها كتاب السوق المعروفون • ان التلخيص التالى هو من القصر بحيث يحتمل ان يشوه فى بعض الاحيان معالم تلك القواعد • وعلى كل حال فان اقل ما نخرج به من دراستها انها تقع على ثلاثة اشكال وحسب رأى كلوزفيتز فهناك ثلاثة قواعد اولية : حشد الجهود ، العمل بالقوة ضد قوات العدو الرئيسة ، قرار في المعركة الجارية في الميدان الرئيس للحركات الحربية ، وان تكون التعبية (دفاعية / تعرضية) قدر الامكان • وهذه القواعد تتعلق بالسوق الشامل وبسوق الحركات فى كل حالة

وهى قابلة للانطباق على النمط الخامس الذى ذكرته فى اعلاه • اما ليدل هارت فانه مقابل هذه القواعد قد وضـع ستة قواعـــد ايجابية واثنتين سلبيتين ويمكن تلخيص فحوى هذه القواعد باربع نقاط وهى:اجبار العدو على التشتت (التفرق) باتخاذ اسلوب التقرب غير المباشر ، توخى المباغتة باتخاذ مســالك للقتـــال غير متوقعة ، العمل بقوة ضد نقاط العدو الواهنة ، والتوصل بالقتـال الى قرار في ميادين الحرب الثانوية اذا كان ضروريا • ان هذه القواعد تتعلق بالمســـتويات السوقية ذاتها عند كلوزفيتز ولكنها بصورة عامة قابلة الانطلاق على النمط رقم (٣) ، اما ماوتسى تونغ فقد وضع ست قواعد : الانسحاب المتحشد عند تقــدم العدو ، التقدم فى حالة انسحاب العدو ، يكفى سوقيا معدل مقاتل واحد مقابل خمسة مقاتلين من جنود العدو ، تدعو الحاجة تعبويا لمعدل خمسة مقاتلين مقابل واحد من جنود العدو ، الاقامة بعيدا عن العدو ، التماسك الوثيق بين الجيشـــ والسكان المدنيين ، وهذه لاتزال ذات علاقة بالسوق الاشمل وسوق الحــركات ان القواعد والحالة هــذه تبدو ملائمة للنمط رقم (٤) اما لينــين وستالــين فقد وضعا ثلاثة قواعد رئيسة فى الحرب الشاملة وهى : يجب ان يتلاحم الشـــعب والجيش نفسيا ، المناطق الخلفية ذات اهمية حيوية ، العمل النفسى يجب ان يمهد السبل للعمل العسكري • وهذه القواعد تتعلق بالسوق الاشمل وهو مســتوى يدل على انها قابلة للتطبيق في عدد من الانماط السـوقية • ان التفكير السـوقي الامريكي الحديث قد وضع في الوقت الحاضر قاعدتين هما قاعدة الردع المركز (الشديد) وقاعدة الرد المرن وهما ايضا سوق اشمل ولكن التأكيد على الردع وتحديدات النزاع المسلح يجعلهمـا قابلتان للانطباق على النمط (١) بصـــورة رئيسة ولو عدنا الى الماضي لوجدنا ان ماهان[1] قد طور قاعدته المشهورة (خطورة

---

(١) الفريد ثايير ماهان ـ مؤلف كتاب اثر القـوة البحرية عـلى التاريخ سنة ١٨٩٠وهو مؤرخ اوجد بكتابه ثورة في السياسة البحرية الامريكية ودعـم الاتجاه البريطاني في الاحتفاظ بقوة بحرية كبيرة

البحار العالمية) ومن جهة اخرى فان ماكندر[١] فضل سوح القتال القارية الى حد كبير وخلال السنوات الثلاثين من هذا القرن تكهن دوهيه[٢] بان القوة الجوية ستكون الجهد الحاسم • واخيرا فان فكرة السوق التقليدى للمدرسة الفرنسية التي مثلها فوش[٣] لخصت السوق بقاعدتين مختصرتين هما : الاقتصاد بالقوة وحرية العمل • وهاتان مجردتان الى حد يجعل بالوسع تطبيقهما على النماذج السوقية كلها •

المفهوم الرئيسي

سيكون ملحوظا ان هذه القواعد تتصف بطبيعة كونها خطوط دلالة عامة لمواقف خاصة اكثر من اتصافها بطبيعة القواعد القابلة للتطبيق عاليا ، وهذا يوضح خلافها وتنوعها • ان القواعد السوقية الوحيدة هي تلك المنسوبة الى فوش ولكنها تعبيرات عامة يصعب لاول وهلة استنباط نتائج ثابتة من بينها وكما سنرى فانها على كل حال في اطار لا بأس به لتحليل القضايا السوقية •

لكننا اولا ينبغي ان نوضح مانعنيه بالضبط وكبداية يجدر بنا ان نعود الى تعريفنا للسوق • فن جدال ارادتين متضادتين تستعملان القوة لفض النزاع بينهما ، وفي صراع الارادات هذا يتقابل نظامان متماثلان ، كل منهما سيحاول الوصول الى ما هو حيوى لدى الآخر بطريقة تحضيرية غايتها اشاعة الرعب في

---

(١) هالفورد ماكندر ـ جغرافي انكليزى يعارض رأى ماهان ويعتقد ان السيطرة ستكون للدول المركزية التى ستكون فى منطقة المحور من العالم ومحور العالم في نظره جزء من اوربا وآسيا (اوراسيا) •

(٢) جيلو دوهيه ـ ضابط مدفعية ايطالى وصل لرتبة لواء له بحوث عن استخدام القوة الجوية في الحرب او بكلمة اوضح سيادتها على باقي صنوف الجيش في مجالي السوق والتعبية علما بان القوة الجوية في ايامه لم تكن بهذه الدرجة من الكفاءة والقدرة توفي سنة ١٩٣٠ •

(٣) فوش ـ قائد فرنسى لعب دورا كبيرا في معركة المارن في الحرب العالمية الاولى ولهمؤلفاته وآرائهالسوقية والتعبوية•وتستند آرائه السوقيةمن حيث الاساس على نظريات كلاوزفيتز • ـ المترجم ـ

صفوف الخصم وشله ومباغتته وكل هذه الاهداف نفسية وعليه ففي اى سوق اذن يوجد عنصران متميزان لكنهما متماثلان في الحيوية وهما : (١) اختيار النقطة الحاسمة المزمع مهاجمتها (وهذا يتوقف على النقاط الواهنة لدى العدو) • (٢) اختيار المناورة التمهيدية التي تمكن من الوصول الى هذه النقطة الحاسمة • وطالما ان كلا الجانبين المتضادين سيعملان الشيء ذاته فسيكون هناك تصادم بين المناورتين التمهيديتين وسيكون النصر حليف الجانب الذي يفلح في عرقلة مناورة عدوه مع مواصلة مناورته الخاصة به نحو الهدف • وهذا ما دعاه فوش في اصطلاحاته السوقية الكلاسيكية « صيانة حرية العمل » لذلك فان صراع الارادات يهبط لمستوى الكفاح من اجل حرية العمل حيث يحاول كل جانب صيانة حرية العمل لنفسه وتجريد العدو منها •

واذا ما كنا اقوى بكثير من العدو ،فان صيانة حرية العمل ستكون امرا هينا وسيكون علينا فقط استخدام القوة الكافية لعرقلة مناورة العدو بينما نحتفظ في الاحتياط بالموارد الكافية لانزال (الضربة الحاسمة)، لكن هذه حالة حدية نادرا ما تحدث وكقاعدة فمن الضروري توزيع مواردنا بحكمة بين حماية انفسنا ضد مناورة العدو واستمرارنا في مناورتنا التمهيدية وضربتنا الحاسمة • ان هذا التوحيد المثالي للموارد يعرف في محيط السوق الكلاسيكي بـ (الاقتصاد بالقوة) •

ان هذا التحليل المتمثل في الاصطلاحات المجردة لتشريح بنية الصراع بين فريقين بغية توخي الغاية يمكن تلخيصه بالقاعدة التالية :

« ان الوصول الى النقطة الحاسمة يتم بفضل حرية العمل المكتسبة بالاقتصاد المتين بالقوة » وبالاستفادة من هذا المصطلح التقديري الى حد ما ، ينبغي علينا تحطيمه والتحري عن اى الاساليب التي يمكن بواسطتها نيل حرية العمل والاقتصاد بالقوة • وهذا يفتح مجالا لاستفهام نادرا ما تعرضنا له بصورة مرئية وربما يكون توضيح ذلك بالسؤال عن سبب بقاء هذه المشكلات ملتفة بنوع من التصوف والغموض • وما يجب علينا عمله الان هو تحليل الامكانات المختلفة التي هي المواد الاولية لاى قرار سوقي •

عناصـر القـــرار السوقي

من المقبول به ان اى قرار سوقى ينبغى ان يتخذ ضمن اطار تعينه ثلاثـة امور رئيسة متناسقة فيما بينها تسيطر على اى موقف فى اية لحظة وهى الزمان والمكان وحجم ومعنوية القوات المتيسرة • واضافة لذلك فهناك عامل اكثر تعقيدا سادعوه (المناورة) فهى التى تسيطر على الترتيب وتداخل العلاقات بين المواقف المتعاقبة •

أ ـ عامل المناورة : يحكم هذا العامل الى حد ما العوامل الاخـرى ، انه النتاج المباشر لجدلية الصراع وبتعبير آخر نتاج حركة متضادة مجردة بين خصمين ولو اخذنا المبارزة كمقياس فمن الواضح ان هناك عدد من اشكال الفعـل ورد الفعل ممكنة الظهور في المبارزة : فمن الناحية التعرضية هناك ثمانية مواقف وهي كما يلي : الهجوم الذى قد يسبقه او يليه التهديد والمباغتة والهجـوم الكاذب والخداع والاندفاع والانهاك والملاحقة اما من الناحية الدفاعية فهناك ستة مواقف: التهيؤ والدرء والاندفاع السريع المقابـل والتملص والتراجـع وقطع المبارزة • وبقدر ما يتعلق الامر بالقوى الحقيقية فهناك خمســة انواع قرار ممكنة وهي تحشد ، تفرق ، اقتصد ، تزايد ، قلص ، وهذا يعطينا ما مجموعـــه تسعـة عشر عنصرا تحتاج الى ترتيب وتنسيق في ضوء عوامل المكان والزمان • انها تمثل لوحة الازرار التى تلعب عليها لعبة السوق •

الجدول رقم (١) يبين كل نوع من انواع العمل هذه كما ويعرفها ويعطي للمواقف التي يمكن تطبيق هذه الاعمال عليها مع تلميحات الى النتائج المتوقعة • وسيلاحظ بان جميعها تهدف الى حرية العمل حيث تكون الغـاية من كل تلـك الاعمال احرازها او استعادتها ، او تجريد العدو منها • وسيوضح ايضا انه لاجل تـأمين حرية العمل فمن الضروري الحفاظ على المبـادأة التي هي احد العوامل الاساسية في المناورة •

ان هذا التشبيه (تشبيه عناصر السوق) بعناصر المبارزة قد يبدو لاول وهلة

ذا علاقة طفيفة بالسوق • ولكن الأمر ليس كذلك مطلقا • اما الجدول رقم(٢) فيعطينا سلسلة من الامثلة على انواع من الافعال نتجت عن كل قرار من هذه القرارات ، جمعت كلها في عمود واحد وهي مأخوذة عن السوق العسكري لحرب سنة ١٩٣٩-١٩٤٥ وتلك التي في العمود التالي مأخوذة من السوق الرادع في الوقت الراهن •

يمكن عمل جداول مماثلة للسوق الاشمل والسوق غير المباشر والسوق المالي والدبلوماسي والسياسي• وعلى سبيل المثال يظهر لنا من هذا الجدول ان تعرض (الاردنيز)[1] في سنة ١٩٤٤ وهو في نطاق السوق الرادع مماثل لبرنامج الصواريخ السوفياتي ما بين القارات وان الحركات البرية الحليفة في البحر المتوسط ١٩٤٣ - ١٩٤٤ مماثلة لتطور السلاح الذرى التعبوى •

ان الامن الذي يعني حسب مفاهيم السوق الكلاسيكي توزيعا حكيما للقوى يعني بحساب السوق الرادع « احراز ميزة فنية متفوقة على العدو » ان حرية العمل التي تنبع حسب مفهوم السوق الكلاسيكي من امتلاك المبادأة تعتمد حسب مفهوم السوق الرادع على التفوق في الجهود (الامن) مصحوبا بالمقدرة على البقاء مع فرض الحيرة على العدو فيما يتعلق بتصعيد الحرب (للتهديد)• ان من الاهمية البالغة ادراكنا ان هذه التماثلات موجودة فعلا اذا ما كنا سندير سوقنا وفق فكرة واضحة عن ماهية استمرار المناورة وعن ردود الفعل الممكنة •

---

(١) تعرض الاردنيز - هو هجوم مقابل الماني جرى لصد تقدم جيوش الحلفاء ثم تجزئتها وابادتها • جرى التعرض يوم ١٦ كانون الاول ١٩٤٤ بقيادة الماريشال فون رونشتد بجبهة (٧٥) كيلو مترا فحطم الخطوط الامريكية ووصل الى ضفاف نهر الموز ولم يستطع العبور ، وكان الرد الحليف عليه حاسما وسريعا بعد زوال اثر الصدمة الاولى • فقد تحسن الجو يوم ٢٣ كانون الاول وساعد على تدخل القوة الجوية بشكل فعال واخترقت دروع الجنرال باتون القوات الالمانية التي كانت تحاصر باستوني فاحس رونشتد بالخطر وانسحب بانتظام نحو الشرق • - المترجم -

الجدول الاول : تماثل (المبارزة) و (الحرب)

العمل	التعريف	شروط وتعليقات	نتائج ممكنة	
الهجوم	محاولة الوصول الى النقاط الواهنة للعدو	ينبغي ان تكون النقطة الواهنة حيوية او حيوية تقريبا • ينبغي توافر الموارد الكافية	قرار احراز المبادأة	مع استهداف احراز حرية العمل
المباغتة	مهاجمة نقطة واهنة الدفاع	ينبغي ان تكون النقطة الواهنة غير مدافع عنها وحساسة بصورة كافية	الاخلال بتنظيم العدو وترتيباته وتحطيم معنوياته واحراز المبادأة	كما في اعلاه

هجوم كاذب	تهديد نقطة واهنة تنتخب للتأكد من أن الدرء المعادي كشف الغاية من الهجوم	ان النقطة الواهنة المهددة يجب أن تكون هزيلة الحماية من جهة ومهمة للعدو في ذات الوقت •	اجبار العدو على حماية النقطة الواهنة تهديده باحراز المبادأة •	كما في أعلاه
الخدع	انه بمفهوم ضيق النطاق التظاهر بتهديد نقطة ضعيفة ثم مهاجمة أخرى	كما في أعلاه ولكن غاية التهديد ليس لكي يظهر العدو نوعا من الدرء بل للحفاظ على جو الحيرة الذي يسود صفوفه •	تدابير تحضيرية لاحراز المبادأة	الغاية احراز حرية العمل
	وهو بمفهوم واسع النطاق: اتخاذ موقف مصطنع ليس هو بالطبع الموقف الحقيقي •	قد تزداد الحيرة فتولد شعورا كاذبا بالامن •	كما في أعلاه •	كما في أعلاه
الاندفاع	الوصول الى النقطة الواهنة على الرغم من مقاومة العدو	ينبغي أن تكون الموارد بحيث تمكن من استخدام القوة الكافية• انه اسلوب للاستفادة من المبادأة التي أحرزت •	انه يجرد العدو من حرية العمل أو ينهكه •	كما في أعلاه

الانهاك	اجبار العدو على بذل طاقاته وامكاناته عند دفاعه عن نقاطه الواهنة •	كما في اعلاه ولكن هذه العملية تكون متبادلة دوما انها ذات قيمة فقط للجانب المتمتع بموارد اكثر او باستطاعته انهاك العدو قبل ان يصاب هو بالانهاك	الغاية هو تجريد العدو من طاقاته الاحتياطية وموارده ومن ثم تتاح لنا القدرة على كسب المبادأة	كما في اعلاه
التعقيب	العودة الى وضع يتيح مهاجمة نقاط العدو الواهنة •	تنفذ اذا قطع العدو التماس لاستعادة حرية العمل التي فقدها •	الاحتفاظ بالمبادأة	كما في اعلاه
التهيؤ	اتخاذ موقف يمكن من الدفاع عن النقاط الواهنة في الوقت المناسب •	يعتمد على تقدير القوى المتيسرة والتوقيت	الغاية التوقي من احراز الخصم للمبادأة	كما في اعلاه

التملص بحرية	تغيير الترتيبات لحمل العدو على مهاجمة النقاط الواهنة المحمية	يجب توافر موارد كافية. ان قطع التماس يغير اتجاه الصدام	الغاية هو اعادة تنظيم الامن	كما في اعلاه
الدرء	حماية نقطة واهنة جرت مهاجمتها	يجب ان تكون الحماية مؤثرة والا ادت الى انكشاف النقاط الواهنة الاخرى	الهدف هو اعادة تنظيم الامن	كما في اعلاه
الاندفاع السريع المقابل	الضرب على نقطة واهنة لاجبار العدو على العدول عن هجومه	يجب ان تكون النقطة الواهنة حيوية او على الاقل ذات اهمية بالغة للعدو	الغاية استعادة المبادأة	كما في اعلاه
التراجع	جعل النقطة الواهنة المزمع مهاجمتها خارج مدى العدو	يجب اجبار العدو على اتخاذ ترتيبات جديدة ويجب ان لا تكشف النقاط الواهنة الاخرى	الهدف هو اعادة تنظيم الامن	كما في اعلاه

قطع التماس ووقف الحركات	انسحاب عام مع التخلي عن هدف محدود	الهدف المتخلى عنه يجب ان لا يكون حيويا	اعادة تنظيم الامن	كما في اعلاه.
التهديد	اتخاذ ترتيبات تمكن من مهاجمة نقطة العدو الواهنة	يجب توافر موارد كافية . النقطة المعرضة المزمع مهاجمتها يجب ان تكون من الاهمية على قدر كاف	الغاية هي تقليل حرية العمل لدى العدو	كما في اعلاه.

الجدول الثاني : التطابق ما بين انواع السوق (موضحا بالامثلة)

العمل	التطابق في السوق العسكري ١٩٤٥ – ١٩٣٩	التطابق في السوق الرادع: تعريفـــات	التطابق في السوق الرادع: امثلـــة
الهجوم	اوفر لورد سنة ١٩٤٤ [١] الاردنيز سنة ١٩٤٠	ادراك بعض التفوق الفنـي الملحوظ والحصول على ما هو احدث مما لدى نظام دفاع العدو	الولايات المتحدة لاحقت التقدم السوفياتي في الاسلحة الحرارية – النووية برنامج الصواريخ السوفياتي لكوبا (١٩٦٢)
المباغتة	التعرض الالماني في الاردنيز عام ١٩٤٤ • الانزال الحليف في شمالي افريقيا •	احراز بعض التفوق الفني لحد ابعد مما هو متوقع	الصواريخ السوفياتية ، الاسلحة الذرية الحرارية – النووية
هجوم كاذب	الهجوم الالماني في هولندة سنة ١٩٤٠	حمل العدو في مجال التسابق الفني ،على اتخاذ سبيل يختلف عن السبيل الذي يجب ان يسلك في الحقيقة	قاذفات القنابل الروسية (١٩٥٥) (؟)

(١) اوفر لورد – الاسم الرمزي لحركة الغزو التي اجرتها القوات الحليفة في الحرب العالمية الثانية للشواطي الشمالية الفرنسية سنة ١٩٤٤ وكانت بداية الحركات التي ادت لانهيار المانيا وحلفائها وتسليمها •

الخدع	التهديد الحليف نحو منطقة المضائق اقبل الانـزال سـنة ١٩٤٤	حمل العدو على الاعتقاد بانه لدى فريقنا تقدم فني كبير او انه (اى الفريق) يخفي تقدما فنيا موجودا حقـا	الفضاء الخارجي (؟)
الاندفاع	المعارك في نورماندى وسـانت لو والعلمين	التفوق على العدو في المجال الذي يبذل فيه جهدا عظيما	ازديـاد سرعة ومجال ارتفـاع طائرات الولايات المتحدة سنة ١٩٥٥
الانهاك	فيردون ١٩١٦ • سـتالينغراد والحملة الروسية • القصف الجوى الالماني	اجبار العـدو على تحمل نفقـات هائلـة (اعظم من الجانب الآخر) في حقل هام من حقول سباق التسلح	التنافس الفني باكمله
التعقيب والملاحقة	الحملة الالمانية في فرنسا سنة ١٩٤٠ • التقدم والانسحاب في ليبيـا بين الجيش الثـامن والالمـان	استغلال تقدم فني لنيل فائـدة سياسية محدودة	الحمايةالسوفياتيةلمصر وكوبا•الحركات في لبنان
الدرء	العمليات الالمانية في نورماندي سنة ١٩٤٤	اعادة نظـام دفاعـي ما الى سابق تأثيره وفعاليته بتعديل بعض الانجازات الفنية •	الغواصات النووية والبولاريس تعزيـز القوات الدفاعية

الاندفاع السريع المقابل	التعرض الالماني في الاردنيز سنة ١٩٤٤	مباغتة العدو بتقدم فني مماثل لتقدمه بتفوق على ما لديه من معدات بل ويكون احدث منها	رد فعل الولايات المتحدة على برنامج الصواريخ السوفياتي في كوبا
التراجع	انسحاب المانيا الى اللورين بعد معركة نورماندى	ــــــ	ــــــ
قطع التماس ووقف الحركات	الهدنة الحربية الفرنسية سنة ١٩٤٠	اتفاقية السلاح والانسحاب السياسي لتجنب الانخذال	الانسحاب السوفياتي من كوبا سنة ١٩٦٢
التهيؤ	دفاع بريطانيا العظمى سنة ١٩٤٠	سبق العدو بالعمل	السباق الفني والاستخباري

التملص بحرية	العمليات البرية في البحر المتوسط سنة ١٩٤٢ لعزل رومل في ليبيا	احراز خرق في صفوف العدو يجبره على اتخاذ موقف جديد	السلاح الذرى التعبوى
التهديد	التهديدات الحليفة للانزال في فرنسا قبيل سنة ١٩٤٤	تدابير يمكن ان تؤدى الى المباشرة بالتصعيد (في الحرب او في الجهود)	الاسلحة الذرية التعبوية • تعبية البقاء

ب ـ مبدأ المناورة : عندما نكون مخيرين في كيفية رد الفعل ، فاننا نواجه بالوقت ذاته عددا من المبادىء المتعارضة •

سأسمي المبدأ الاول « التطبيق المعقول للقوة » وهو يأخذ القوة المتوفرة للقوات المتيسرة كنقطة انطلاق ويختار الحل الذي يتيح لهذه القوات ابداء تأثيرها الاقصى • ان الغاية ستكون حشد الجهد لدحر قوات العدو الرئيسة ، الامر الذي يؤدي الى اندحار البقية الباقية • ان القسم الرئيس لقواتنا سيحشد ضد اقوى نقطة معادية وستقع المعركة الفاصلة في الساحة الرئيسة للحركات • هذا هو محصول نظريات سوق (كلوزفيتز) التى ظهرت فى نهاية القرن التاسع عشر وكانت اساس الخطة الفرنسية رقم (١٧) سنة ١٩١٤ •

اما المبدأ الثاني فسأسميه مبدأ « المكر » واساسه التأثير النفسي للاجراء المزمع القيام به • ان الحل المختار ينبغي ان يكون مقدرا بصورة جيدة للاخلال بتوازن العدو وافقاده معرفة وجهته وبالتالي المكر به • وسيكون من الضروري عامة تفريق قواتنا او (جهودنا) لحمل العدو على القيام بعمل مماثل وغاية ذلك احراز النصر بالقوة ضد نقاط العدو الضعيفة وان يتم ذلك ان اقتضى الامر في سوح الحرب الثانوية او البعيدة لقد وضع ليدل هارت هذا السوق بصورة جيدة في عصرنا الحاضر في كتابه (الطريقة البريطانية في القتال والسوق) وهو يضعه ـ ليدل هارت ـ في كتابه كترياق للسوق الكلوزفيتزى وكشيء نموذجي وبريطاني •

هناك مبادىء اخرى انقضى عهدها • وعلى سبيل المثال المبدأ الهندسى الذى اخذه البروسيون من نظام القدمة الذى وضعه فردريك الثاني ، او المبدأ الجغرافي لجوميني [1] ، المبدأ الذى كان مؤسسا على ضوء تفسير النصر النابليونى •

---

(١) جوميني ـ ضابط سويسرى ولد في القسم الفرنسى من سويسرا سنة ١٧٧٩ • عاصر كلوز فيتز ووصل في الخدمة لرتبة جنرال واصبح رئيس أركان جيش المارشال ناى فيمعركة (اوستر ليتز) • قام بدراسة لفن الحرب حدد فيها واجبات السوق والتعبية والامور الادارية في صفحات المعركة له مؤلفات تاريخية ايضا • ـ المترجم ـ

الواقع ان ايا من هذه المبادىء ليس صائبا على وجه العموم.وبصرف النظر عن المبدا الهندسي الذى هو ميت فعلا (ومع هذا فقد يتسائل بعضهم عما اذا كانت النظريات الفرنسية فى الثلاثينات لم تبعث ثانية باطار اخر) فان كل مبدأ من هذه المبادىء قد يؤدى الى مسلك ما للعمل يكون افضل شيء ممكن فى بعض الظروف واسوأ ما يمكن فى ظروف اخرى ان مبدأ تطبيق القوة يلائمنا اذا كنا اقوى من العدو (وفى حالة كهذه لماذا نهتم بالنظريات او اذا كان العدو اقوى منا لكنه مشتت بصورة خطرة.اما مبدأ المكر فهو واجب الاتباع ان كنا الجانب الاضعف وسيكون ذا فائدة فى الحصول على تفوق محلي شريطة ان لا نكون قد قمنا بتفريق قواتنا اكثر من العدو . اما المبدأ الجغرافى فمهم فى حدود السوق العسكرى ان كانت المواصلات فى ساحة الحركات ضعيفة كما كانت الحال فى اوربا ايام حـــروب نابليون لتشكل بالتالى لوحة شطرنج جيدة التنسيق ، (تشمل لوحة الشطرنج فى الوقت الحاضر القارات والمحيطات) .

لذلك فان اختيار مسلك العمل ينبغى ان يتوقف من حيث الاساس على تقدير الموقف للوقت الراهن وسيكون من الضرورى اتباع بعض هذه المبادىء الواحد تلو الآخر .

جـ ـ حالات السوق ـ عند دراسة خطة للحركات فسيكون من الضرورى عادة القرار على موقف عام وهذا يكون نتاج اقرب مبدأ يمكن تطبيقه على الوضع النسبي لكلا الجانبين . ويعود بنا هذا الى مشكلة اختيار النماذج التي مرت بنـا . وعلى ضوء المبادىء فاننا ان فحصنا نماذج السوق وجدناها تقع على شكلين السوق المباشر والسوق غير المباشر .

ان حالة السوق المباشر تضم النماذج المرقمة (١ ، ٣ ، ٥) حيث ان الفكرة الاساسية لها هى كون القوة العسكرية السلاح الرئيسى وان النصـر او الردع يحرز باستعمالها او ادامتها هذا هو السوق الكلوزفيتزى وهو فى الحقيقة ليس اكثر من كونه تقريرا على شكل اصطلاحات عامة للمفهوم الذى يبنى عليه مبـدأ « التطبيق العملى للقوة » لقد كان هذا هو السـوق الذى طبق من قبـل قواد

الحرب ١٩١٤–١٩١٨ والذى اتبع من قبل الالمان والامريكان سنة ١٦١٦–١٩٤٥٠
انه السوق الذى يسيطر على التصادم الكامن للقوى النووية • وقد يستفيد السوق المباشر من مبدأ المكر خاصة اذا كان يتبع اسلوب التقرب غير المباشر •

تشمل حالة السوق غير المباشر النماذج المرقمة (٢ ، ٣ ، ٤) وهذا هو السوق الذى ترتكز عليه اشكال الصراع التى يطلب فيها الوصول الى قرار ما ، ليس بالصدام المباشر بين القوى العسكرية بل باساليب اقل مباشرة • قد تكون هذه الاساليب ذات طبيعة اقتصادية او سياسية (مثلا : حرب ثورية) وانها قد تستعمل قوة عسكرية تتقدم بقفزات او مراحل مقرونة بالمفاوضات السياسية (مثلا : سوق هتلر ١٩٣٦ – ١٩٣٩) ويتبع هذا السوق الآن بدرجة متزايدة حيث ان اي احتمال للحرب العامة التي يسلم بها السوق المباشر يبدو وكأنه يؤدى الى مستوى غير مقبول من التدمير المتبادل ان هذه النظرية السوقية ، نظرية السوق غير المباشر – معقدة ورقيقة بآن واحد ولا يزال ادراكها من قبل المهتمين بالسوق قليلا • انها تستخدم الان باستمرار فى الحرب الباردة وقد يكون هذا السوق غير المباشر السوق العملى الوحيد لان السوق المباشر قد شله تهديد وخطر السلاح النووى •

الواقع ان كلا الاسلوبين السوقيين لايزالان قائمين يتمم كل منهما الآخر • وهناك وجهان للصراع الجدلى فى العالم اليوم ، اذ ان حالة السوق المباشر تنطوى على الجدلية النووية التى تؤدى الى تحييد الطاقتين الكبيرتين (الاقتصادية والصناعية) لكل فريق • وفى ذات الوقت ففى حالة السوق غير المباشر تكون الجدلية السياسية مستمرة تتسرب بكل مظاهرها المتنوعة من خلال شقوق نظام الردع • ان مثل السوق كمثل الموسيقى يمكن عزفها بمفتاح رئيسى او بمفتاح ثانوى •

د – عامل التغير : لدينا عامل آخر ، هام جدا ، فى تكوين مفهوم سوقى وهو قابلية التغير لكل من الطاقات المتوفرة والظروف المحيطة باستخدامها على حد سواء •

ان العالم فى تطور حثيث خصوصا في يومنـا وعصـرنا هـذا • فكل شيء معرض لعملية تحول مستمرة وعلى سبيل المثال فان آمال المانيـا سنة ١٩٦٣ بعيدة عن آمال المانيا سنة ١٩٣٨ • ان الرأى العالمى لايؤمن بنفس المعتقدات ولا يتجاوب بنفس الطريقة • ان الادوات التى ينبغي على السوق استعمالها تتغير هي الاخرى بسرعة رهيبة ، فطائرة سنة ١٩٤٥ بطل استعمالها فى حدود سـنة ١٩٥٠ وتلك التى من طراز ١٩٥٠ اصابها الشيء ذاته فى حدود سنة ١٩٦٠ •

ونتيجة لذلك فان رجل السوق لا يستطيع الاعتماد على ما سلف وليست لديه وحدة قياس ثابتة • ان الفكرة السوقية يجب ان تراعى دوما حقائق التغيرات ليس للمستقبل القريب فحسب بل التغير المحتمل لعدة سنين ابعد • لم يعد السوق يسير على اساس ثابت من الاستنتاج الموضوعى بل ينبغى له ان يعمـــل بمقتضى فرضيات ، وان يقدم حلولا باسلوب تفكير اصيل وحقيقى •

لقد قل مدركوا هذا الجانب من السوق حتى السنوات الاخيرة ولقد كانت عملية التطور السوقى لمدة طويلة جدا على قدر من البطء بحيث كان معقولا ان تبنى القرارات على اساس من التجارب والخبرات الســابقة • ولايزال للتاريخ قيمته اليوم لكنه لايفي بالغرض وحده فقد كان (بول فاليرى) على قدر كاف من التبصر لتقدير اخطاره قبل فترة من الزمن • والآن وقد اعيد استناد السوق الى الفرضيات فانه ينبغى ان يتعامل مع الوقت والمسافة ، انه يجب ان ينبذ الفرضيات الجامدة الخطرة • مثل بعض النظريات القريبة العهد ، ومعظمها امريكى الاصل والمبنية على تقدير رياضى للاحتمالات وبدلا من ذلك فانها ينبغى ان تبنى على كل حلقة تامة من الامكانات وينبغى وجود منظومة للتأكد من وضع هذه الامكانات تحت المراقبة لتميز الانواع النامية منها والآخذة بالتحول الى حقائق فى الوقت المناسب، من الانواع الآخذة بالزوال • وهناك عامل آخر فى المناورة اذ يجب ان تكون لنا تنبؤاتنا للوقاية من المباغتة ولضمان استمرارنا فى التطور •

ليست هناك قواعد لقابلية الابداع المطلوبة لايجاد حل مستقل لمواجهة موقف مستقبل باستخدام ادوات جديدة او ادوات اعيد تحويرها • وكل ما يمكن قوله

انه ينبغي عدم وجود رتابة بشأن ذلك (والكيان العسكرى تسيطر عليه النظامات. وهو لسوء الحظ منغرس فى الرتابة) فينبغي ان يؤكد ذلك على التخيل وان يكون ثمرة للتروى والتأمل .

هذه حقائق لا تنكر . ان السوق الحديث مثله مثل حضارتنا يساير التقدم العلمى السريع . ان النتائج ينبغى ان تكون تغيرا اساسيا فى سجايانا الفكرية . ان المستقبل لا الحاضر هو ما نهتم به . وان التخلف الزمنى لاية عملية (سواء كان انتاج تجهيزات جديدة ، تبدل الجو النفسى ام تغير توازن القوى العالمية) يجب ان يقدر بحساب « السنين » وهذه هي ـ لحد الآن ـ العوامل التي ستحكم المستقبل .

ان الاستعداد فى الوقت الحاضر هو اكثر جدوى من التنفيذ وبتعبير آخر لا فائدة من صرف الملايين على نظام دفاع مشكوك فى تأثيره فى المستقبل ، على انه من الضرورى التزود بالمعلومات وممارسة التكهنات . ان هذين المطلبين يتضمنان التأكيد على خلق استخبارات راقية مؤثرة . ومنظمات بحث علمى يصبح بالوسع عن طريقهما تتبع التطورات والسيطرة على طريقة تحريك القوات باتخاذ قرارات امعن التفكير فيها وتم التوصل اليها بوقت مناسب .

وفى ختام هذا الاختبار السريع ، هناك تشابه بسيط ، لا مبالغة فيه وهو ان رجل السوق مثله مثل الجراح ، مدعو لاجراء عملية لشخص مريض يزداد نموا باستمرار وبسرعة هائلة ، والجراح غير متأكد من تفاصيل تشريح هذا المريض ، ومنضدة عملياته فى تنقل دائم كما ان عليه مهمة سبق النظر ليكون قد استبق الزمن فطلب الالات التى يستعملها الآن قبل خمس سنوات من الشروع بالعملية .

خلاصة

من الواضح ان لعبة الشطرنج السوقية هى من الالعاب المعقدة ، ففى كل مستوى من المستويات المتنوعة للسوق والتى من الضرورى جمع شملها كخلفية لقرار ما ، تلعب اللعبة نفسها بآن واحد مع العدد ذاته للبدائل المتوفرة . قد يقدم

الدماغ الالكترونى عونا ولكن ليس بمقدوره التكهن بكل الافعـــال وردودها المحتملة ، ولا يعدو العون الذى يقدمه الا قليلا من الخطوات الى الامام •

لذلك فمن الصعوبة بمكان محاولة وضع سوق علمى ، وعندما جرى ذلك فى الماضى وخاصة خلال العصر [1] النابليونى فان الامر كان عمليا فقط لانه نظرا لظروف زمنية معينة فان العوامل التى وجب اخذها بنظر الاعتبار كانت قليلة نسبيا•

وكقاعدة فان على رجل السوق عن طريق عملية تقديرية ان يختار العوامل المسيطرة والتى قد تكون عديدة ، ويعتمد فى تعليله وتبصره على هذه العـــوامل وحدها • ولهذا السبب فان الســوق فن وليس علما • ولم يحدث ان رسم فنان صورة باتباع جملة قوانين نظرية • ان كل ما يعمله احيانا هو فحص عملـه على ضوء قواعد معينة ليتأكد ان عمله سيفى بالغرض والامر هو نفسه فى حقل السوق ولربما كان ذلك هو السبب للاخطاء الجمة التى ارتكبت •

تطبيق الســـوق

قال نابليون ، عند مناقشته لقواعد السوق الحصيفة ،بانه « لم تكن هنـاك صعوبة بشأن الفن ، والصعوبة كانت فى ممارسته » • وهذا يبرز اهمية منجزات السوق وعليه فمن الواضح ان تكون الامور التالية اساسية :ـ

العزم الراسخ ، والذهن الهادىء للتأكـد من ان القـــرارات المتخذة هى صحيحة دوما ، مع التصميم الصارم للتأكد من ان الجهد موجه دوما لنيل الاهداف المختارة وهذه صفات نادرا ما تتوفر فى شخص واحد ومن ثم فان حقيقة ندرة وجود قادة حقيقيين تلزم هؤلاء بان يكونوا مفكرين ومنفذين بآن واحد •

وبشأن التفكير فان لانجاز مشكلة رئيسية كان عدم ادراكها اساسا للكوارث العديدة من ضمنها كارثة فرنسا سنة ١٩٤٠ وهنا اشير الى العلاقة بين الســوق

---

(١) انظر تحليل الحملة الايطالية سنة ١٨٠٠ لـ (بير فاندريسن) من كتـاب « الاحتمالات فى التاريخ » (المؤلف)

والتعبيه • ان السوق اسلوب بواسطته تنجز سياسة القوة وهذا يعنى ان التعبية يجب ان تخدم السوق لا العكس – كما يعتقد البعض –

لقد حاول عدد من الكتاب مثل (فولر ، وروكيرون ، وتوينبي)[1] – نتطرق للكتاب المحدثين فقط – على سبيل المثال ان يبنوا بان تطور السوق يعتمد على التعبئة ويعتقد هؤلاء بان تغيرات عظيمة قد طرأت : مثلا : (الكردوس) و (الجوقه)و(الجندى المدرع)و(رماة السهام المغول)و(البارود) و(البندقية سريعة الرمى)و(الرشاشة)و(السكة الحديد)و(الدبابة)و(الطائرة)و(السلاح النووى) ••• الخ واستنتاجهم هو ضرورة تركيز الجهود على اختراع صنعة جديدة واتمام الجهود التعبوية المهمة وعلى الرغم من ضرورة توجيه السوق للتعبية فانه يجب ان يكون تابعا لها على حد تعبيرهم •

ان ذلك سوء ادراك خطر بل هو اخطر الجميع لانه يحوى قدرا ملحوظامن الحقيقة ، ولكنها حقيقة جزئية ليس الا •

الحقيقة هى ان التفوق الفنى عامل هام فى توازن القوة فمن الواضح انه لا يمكن ايقاف دبابة بواسطة بندقية او اسقاط طائرة بالقوس والسهم • والكل يدرى ان الرومان دحروا القسم الاعظم من العالم – المعروف حينئذ – بفضل تفوق قطعاتهم العسكرية فى حمل السلاح وتعبية اقسامها • ومن الجلى ان الجانب المتقدم فنيا وتعبويا له ميزة ملحوظة هى الميزة التى تنبع من حقيقة كون التفوق

---

(١) فولر – اللواء فولر ضابط بريطاني لامع اختصاصي بالدبابات يعتبر احد المفكرين العسكريين وله مؤلفات عديدة عن الحرب تناهز المائة مؤلف اهمها (اسس علم الحرب) و (محاضرات عن نظامات الخدمة السفرية الجزء الثالث) •

توينبي – ارنولد جوزيف توينبي – مؤرخ انكليزى ولد سنة ١٨٨٩ ،خدم في وزارة الخارجية البريطانية في الحرب العالمية الاولى • عين استاذ اللغة والتاريخ الاغريقي في جامعة لندن،ثم عين أستاذا باحثا ومديرا للدراسات في المعهدالملكي للشؤون الدولية وصل قمة الشهرة بكتابه (دراسة في التاريخ) وهو بحث لنمو الحضارات وتطورها وانحلالها فسر فيه قيام ظاهرة الحضارة على اساس ماسماه – بالتحدى والاستجابة – ويقول – في كتابه هذا – المؤلف من عدة اجزاء (بان مجرى التاريخ تضبطه وتسيره قوى نفسية اكثر منها مادية) • – المترجم –

فى هذه المجالات يزود السوق بالمواد الاضافيه او الا كثر تاثيرا والتى سيستخدمها فى عملـه .

قد يفقد النفوذ الفنى التعبوى مفعوله فى حالة استعماله لترويج سوق خاطئ، وتلك هى النقطه الحيويه التى يجب ان تراعى دوما . دعنا نتأمل تجاربنا الأخيرة فى الجزائر ، كنا نملك سلاحا حديثا وتجهيزات حديثة ولكن هل قربنا كل ذلك من النجاح ...؟ لا توجد فى الحقيقة تعبية مثالية كهذه ، ان التعبية جيـــدة كلما كانت افضل من تعبية العدو وعلى سبيل المثال فقد برهنت المدرعات والطائرات على قلة تأثيرها فى حرب العصابات . وعلى الرغم من حيازة الولايات المتحدة للسلاح النووى ، فانها لم تستطع الحصول على شىء غير سلم تسوية موفق فى كوريا وهذا يعنى ضرورة وجود شىء يسيطر على التعبية ، ان المسألة فى الحقيقة هى اختيار التعبية فلو قررت مقاتلة الدبابات بالمشاة ، كما فعلنا سنة ١٩٤٠ ، فسوف تهزم ، ولسوف تهزم على حد سواء اذا حاولت مقاتلة حركة العصابات بنظام النقاط الحصينة كما فعل جيان كاى جيك لفترة وجيزة . والحق ان اختيار التعبية هو السوق بعينه . ان السوق هو الذى يقرر شكل النزاع المزمع ، ســـواء كان تعرضيا ام دفاعيا ، او سواء استعملت القوة ام التخريب الخفى ، او استعملت القوة بشـــكل مباشر او غير مباشر وعلى مراحل ام بدونها او كانت المعركة الرئيسية عسكرية ام سياسية ، او ما اذا ستستخدم الاســـلحة النووية ام لا ...الخ فلو حاول الثوار الجزائريون احراز النصر عن طريق تجربة القوة المالية او الصناعية او باتباع اسلوب حربى يعود الى سنة ١٩٢٠ او سنة ١٩٤٥ ، لكان ذلك مدعاة للسخرية لقد تصرف الجزائريون الثوار بصورة منطقية تامة في اختيـارهم لتعبئة حـرب العصابات الهادفة الى التوصل الى قرار عن طريق انهاك الفرنسيين والاعتماد على تأثير الرأى العام العالمي . هذا هو السوق وانه هو الذي ينبغي ان يكون المهيمن .

وعلى كل حال فان اختيار التعبية ليس هو الواجب الوحيد للسوق . ان عليه بجانب ذلك ان يوجه تطور التعبية لتلعب دورها المناسب ليتوصل الى قراره فمثلا كانت تعبية التعرض سنة ١٩١٨ اثقل من ان تستطيع القيام بالخرق وعلى الرغم من انها

كانت التعبية الممكنه أشد فانها لم تكن التعبية اللازمة للتوصل الى نتيجة حاسمة ومن وجهه نظر سوق الحركات فان التعبية اللازمة لتلك الاونة كانت شيئا يجعل التنقل السريع ممكنا ، وهو ما احرزه الالمان سنه ١٩٤٠ بفرقهم المدرعة • وبقبولنا التعبية التى كانت عاجزة عن سد حاجات تلك الفترة فقد حكمنا على انفسنا باتباع سوق عقيم • فعلى السوق اذن تحديد الهدف الذى يجب ان تصبوا اليه اختراعات الفنين وبحث التعبويين • وعندئذ فقط تستطيع توجيه التطور الى سبل مثمرة سبل تؤدى الى الهدف من اى صراع وهو القرار

استنتاجات

يبدو قادة الالمان بين الفينه والاخرى ، فى مسرحية (كيرودو) المسماة (سيجفريد) وهم يبحثون عن قانون عالمي مثله مثل (حجر الفلاسفة)[1] من شأنه حل مشكلات الحرب اجمع • ان مثل هذه الصورة مسخ للسوق • ان الحرب ظاهرة اجتماعية اعقد من ان يحكمها قانون بسيط • مع ذلك فان العلم الحديث نفسه قد قام بالتغيرات التى كانت الكيمياء تبحث عنها ولكن باساليب تختلف عن تلك التى سلكتها الكيمياء • يشمل العلم الحديث فى الوقت الحاضر علوما اجتماعية ولذلك فمن واجبه البحث عن سبل ووسائط لتقرير مصير البشرية وهذا شيء كان متروكا لحد الآن ، لاكثر الوسائل التجريبية فجاجة •

سيكون السوق من اهم التمارين العقلية فى هذا البحث • ان السياسة العالمية تعمل عملها عن طريق السوق وقد يكون حسنا اذن ان تكون عمليات التفكير السوقية قابلة التطبق في مجال السياسات الخالصة او ، في الواقع ، في اي مجال يتعلق بتصادم الارادات المتضادة • وعن طريق ادراك السياق والاساليب المستخدمة

(١) حجر الفلاسفة ـ تعبير كيمياوى قديم يعود الى القرن الثالث والخامس قبل الميلاد وهو الحجر الذى كان يعتقد بانه يحول المعادن الخسيسة الى الثمينة وهناك تعبير آخر له وهو اكسير الحياة الذى كان يعتقد بانه يعيد الشباب الى الانسان • وكان يعتقد بان الاسكندرية موطن للبحث عن حجر الفلاسفة ـ المترجم ـ

من قبل السوق فقط ، يستطاع تجنب الاخطاء فى اى صراع مستقبل — وهى اخطاء لابد منها — اخطاء كانت مسؤولة عن دمار اوربا • فلو استطعنا اتقان مبادىء السوق لاستطعنا بالتالي اجتناب كل هذه الصراعات ولربما (من يعلم ؟) ستؤدى «معرفة فن الحرب «الى» ولادة» «فن السلم » فن ليس مبنيا على ميول عقائدية بل على حقائق راسخة — مثل سوق الردع في عصرنا الحاضر — •

ليس السوق وسيلة لغاية • ان على السياسة ان تحدد الاهداف المتوخاة من قبل السوق والسياسة تسيطر عليها ، بصورة اساسية الفلسفة التى نرغب نحن فى ان تسود • ان مصير الجنس البشرى يتوقف على الفلسفة التى يختارها(الانسان) وعلى السوق الذى بواسطته يحاول ان يتأكد من ان هذه الفلسفة ستسود •

الفصـــل الثاني

الســـوق العسكري التقليدي

الطبيعة التطورية للسوق

ينبغي ان يكون السوق العسكرى مفهوما بصورة جيدة ، الا ان الواقع ليس كذلك • لقد وضعت القواعد السوقية ، اغلب الاحيان ، في خلفية الاحداث بفعل تطورات متنوعة آنية ظهرت بوقتها وكأنها الصائبة بينما هناك عوامل هامة اخرى • لقد قررت في هذا الفصل ان اتطرق الى الجانب العملي ، فقط ، من السوق والقى الضوء على نقاطه الرئيسية • فبهذه الطريقة يمكننا ادراك طبيعته • لقد كان ضروريا دوما وضع السوق العسكرى التقليدى الى حد ما في سياق الحرب الشـــاملة • وكان هناك دائما ، مثلا ، عنصر اقتصادي ومالي هام (اذا كنت معدما فانك لا تستطيع استئجار المرتزقة السويسريين • من الواضح انه كان هناك دوما عنصر دبلوماسى هام (الحياد والائتلاف) وهناك ايضا عنصر ســياسى هام عقـائدى النزعة عادة (الارمناك والبورغنديون)[1] والهيجونوت [2] والعصبة [3] والوطنيون الثوريون

---

(١) الارمناك والبورغونديون حزبان متنازعان سيطرا على السياسة الفرنسية في اوائل القرن الخامس عشر عرف الارمناك بهذا الاسم لان قائدهم هو برنارد السابع كونت ارميناك والبورغونديون عرفوا بهذا الاسم لانهـــم كانـوا يتبعـون شارل اورليان كونت بورغنديا • وبعد تطور النزاع غزا هنرى الخامس ملك انكلترا فرنسا عام ١٤١٥ فتحالف معه البورغونديون وتسمى الارميناك باسم الحزب الوطني •

(٢) الهيجونوت ـ بروتستانت فرنسا المعتنقون مذهب كالفن • عانوا اضطهادا كبيرا في عهـد لويس الرابـع عشـر مما اضطر معظمهم للفرار الى انكلترا وهولندا والمانيا وسويسرا •

(٣) العصبة المقدسة ـ منظمة كاثوليكية فرنسية كان هدفها القضاء على حملـة المذهب البروتستانتي (الهيجونوت) في الحـروب الدينيـة في فرنســا التى جرت عام ١٥٦٢ اسسها هينرى دوق دى كيز ثم اعلن هنرى الثالث نفسه رئيسا لها واخيرا حلها سنة ١٥٧٧ واعيدت ثانية سنة ١٥٨٥ لمنع هنرى ملك نافار من اعتلاء عرش فرنســا •   ـ المترجم ـ

والعصر النابليوني ، الديموقراطية ضد النازية ••• الخ) ونادرا ما كان هناك صراع دون ان تلعب هذه العوامل بعض الادوار فيه ، رغم ان التأثير الذى خلفته كان متنوعا بصورة ملحوظة •

لقد كان هذا هو الاطار العام وكان ذلك بصورة رئيسة ، عمل يخص الحكومة او الملك • لقد تنوع الدور الذى يلعبه الجيش ضمن هذا الاطار • ولو انه كقاعدة كان العامل الاهم غير انه كان العامل الحقيقى الحاسم خلال بعض الفترات المواتية • اما خلال فترات اخرى فقد اقتصر عمله على لعب دور مساعد • ان هذه الفروق بين ادوار الجيش قد انبعثت الى درجة كبيرة ، وبصورة واضحة ، من التنافس النسبى بين قادة كل فريق ، غير انه مهما كانت صفات القادة ، فان دور الجيش قد اعتمد على امكانات القوات المسلحة ككل لاحراز نصر عسكرى تام، تلك الامكانات التى تزداد حينا وتقل احيانا اخرى • لقد اجبر السوق الشامل ، فى اية فترة ، على استخدام اى اسلوب يثبت عظم تأثيره ، وهذا الاسلوب قد يكون اقتصاديا ، دبلوماسيا ، سياسيا ، او عسكريا ، لذلك فان دور القوات المسلحة قد اصبح احتلال اراضى العدو فقط عند استطاعتها الوصول الى قرار •

لقد تنوعت قدرة القوات المسلحة على تكوين قرار ما ، بصورة اساسية خلال التاريخ معتمدة بذلك على امكاناتها العملية فى ذلك الوقت ، وهذه الامكانات بدورها تعتمد على السلاح والتجهيزات والتعبية وسياق التموين لكلا الفريقين المتخاصمين • ونادرا ما اعطى الوزن الكافي لهذا الاختلاف مابين امكانات القوات المسلحة • لقد باغتت عملية التطور _ كقاعدة _ كلا الجانبين اللذين كان عليهما البحث عن حلول جديدة تمكن من التوصل الى قرار ما • وفى مناسبات نادرة كان بوسع قائد عسكري عبقري حقيقة (نابليون هو مثال لامع بهذا الصدد) الحفاظ على تفوق مؤقت لان عمليات تفكيره وبالتالى ادراكه للتطورات كانت تسبق تلك التي تخص عدوه• وعلى كل حال ، فالعدو ،بصورة عامة ، تعلم فيما بعد من مثل هذا القائد العام وقام بالتعديلات الضرورية •

ان من اهم العوامل فى مجال السوق العسكرى التقليدى ، على الـدوام ، مقدرة فريق على ادراك التغيرات فى فن الحرب اسرع من العـدو وان يكون بوضع يمكنه من التكهن بتاثير العوامل الجديدة • لقد سهلت هذه العوامـــل حينا ، او عرقلت حينا آخر – على سبيل المثال – الدفاع الناجع عن القلاع ،المعارك الحاسمة المدمرة ، او عمليات حرب صاعقة • هناك فى الحرب اشكال تتحسن ببطء طويل الامد تكون فيها الحرب اما قصيرة وحلوة او « طويلة منهكة » او عاجزة عن ايجاد نتيجة تستحق الاهتمام • وعند اى تبدل فى شكل الحرب فان رجال تلك الفترة المعينة التى جرى فيها التبدل يختل توازنهم لان اجتهاداتهـــم القديمة تكون قد فقدت صوابها وقيمتها • كما ان الاجتهادات الجـــديدة التى تبرز وكأنها الجواب التام لمشاكل الحرب فانها على العموم وجدت لتكون مؤثرة فى فترة معينة فقط •

وعليه فالمفتاح الرئيسى للسوق العسكرى هو ، فهم تطور الطريقة التى بها تستطيع امكانات القوة المسلحة التوصل الى قرار •

الســــــوق في المعركـــــة

ان القرار العسكرى بكل ما فى الكلمة من دقة ، هو نتاج معركة ظافرة• لقد مرت بنا عدة انواع مختلفة من المعارك الا ان آلية المعركة يمكن تلخيصهـــا بقانون بسيط نسبيا • ان الخاصة الرئيسة للمعركة الارضية هى وجود حاجزين من المقاتلين يتجه كل منهما ضد الآخر •

ان هذا التشكيل الخطي يتاتي من حاجة كل جندي الى حماية جانبـــه وخلفه من قبل جيرانه • وحيث ان كل جانب ينبغى عليه ان يحمى ويحتمى فان النتيجة الحتمية هى تشكيل الصفوف على نظام متقارب وعميق حسب ما تقتضيه التعبية فى الوقت الراهن •

وعندما تصل الى نهاية الصف باى حال من الاحوال ، تفتقـد الحمـــاية الجانبية ونتيجة لذلك يتضح لنا ان الجوانب اكثر اقسام الترتيبات العسكرية وهنا ،

وتيجهلوهن الجوانب فان القادة يتوجهون نحوها لاحراز النصر بالالتفاف على جناح العدو ثم احاطة ذلك الجناح وبالتالى محاولة اظهار جبهة معركـــة اطول من جبهة العدو ومالم يكن الفرق العددى بين الجانبين كبيرا فان تمديد الجبهـة معناه ان خط المعركة سيكون فى بعض النقاط ضعيفا • ويفتح هذا لنا احتمال استثمار هذا الموقف بتحطيم خط العدو فيسبب هذا قيام العدو باصطناع مجنبـة جديدة تكون واهنة بطبيعة الحال • وهكذا اصبحت غاية المعركة تشتيت شمل العدو بالاخلال بتنظيمه عن طريق الاخلال بتماسك الجدار البشري الذي يشكله جنوده ويتم هذا باحاطة جانبه او بتحطيم خطوطه • واذا ما تم تحطيم خط العدو اصبح الدفاع غير منتظم وعندها يسبب الخطر الذي يهدد كل جندي صدمة نفسية تؤدى لانفصام عرى المعنوية التى تشد الجنود الواحد للآخر • ومن ثم يتحول الجيش مختل النظام الى غوغاء من الافراد وكانت هذه الغوغاء في الماضي فريسة سهلة للغالب حيث تلك لحظة الانتقام، انها صفحة المذبحة حيث يقتل المغلوبون بحد السيف وتكون خسارة المنتصر طفيفة • اما فى العصور الحديثة حيث يندر القتال يدا بيد فان هذه الصفحة قد تحولت الى الهزيمة والفرار ثم المطاردة حيث تكون الغاية منها منع جيش العدو من اعادة تشكيل كيان متماسك • ان حركة الالتفاف تتطلب قابلية حركة اكثر مما يتطلبه خط المعركة لذلك فان الاجنحة تؤلف عادة من الخيالة وهي تؤلف حتى وقت قريب من تشكيلات متألية ومدرعة • ان على الفريق الذى يقوم بمناورة خرق ان يتمتع بطاقة تعرضية تفوق طاقة العـــدو وهذا يتم بتوحيد حصيف القوات المهاجمة ، مثلا (الخيالة الثقيلة ، الفيلة ، المدرعات) مع النار الساندة ، مثلا (السهام ، والمقلاع ، والنار الساندة للمدفعية والمشاة) وكل ذلك يجب ان تكون له قابلية حركة كافية لخرق جبهة العدو بسرعة •

ان مسألة الاختيار بين هاتين الطريقتين للهجوم اعتمدت الى حد كبير فى الماضى على الارض وعلى الحجم النسبى للقوات المدافعـة ، لكنهـا ايضا تتأثر بفعالية تقنية التعرض المستخدمة اذا ما قورنت بتعبية الدفاع للعدو وطاقاته الدفاعية المستمرة على التزايد • ومبدأيا فان الدفاع يتوقف على مهارة كل جندى فى الخط

باستعمال سلاحه ، مع انه ربما ، كان محتميا بدرع او حاجز كخندق او خط من الاوتاد القائمة • وسرعان مايبدأ الدفاع باستعمال انواع عديدة من القذائف ، مبتدئة بالسهم او المقلاع ثم الى (المنجنيق ، المسدس ، قذيفة المدفع - غير المنفلقه - فالقنبلة) • ويضطر الهجوم لمواجهة هذه المشكلات عن طريق تبنيه تعبية ملائمة مستخدما اكثر الوسائل اسداء للنار لشل نار العدو او حتى لتدمير جدار الجنود المقاتلين في المكان الذي يزمع عنده اقتحام الخط • وبتطوير الاسلحة فان الدفاع كان في القمة لفترات معينة كما ان الهجوم كان كذلك في فترات اخرى • وقد ادى هذا الى تغيرات واسعة النطاق في سياق العمل •

ان تصميم المعركة ليس بالطبع سهلا الى هذه الدرجة • وعند الاستعداد لمناورة الاحاطة او الخرق فستكون هناك حركات هجوم كاذب وازعاج متبادلة • ان الغاية الرئيسية للفترة التي تجرى فيها الاعمال المضادة هو تقييد قوات العدو وزعزعة معنوياته بالتخويف والانهاك والخسائر ومن ثم التحشد ضد النقطة الحاسمة على الجانب او في المركز • ان العدو ، عادة ، سيوفر له الاحتياط الذي به سيصد الضربة الحاسمة • وعليه يجب ان يجبر العدو خلال فترة الاستعداد على استخدام قواته الاحتياطية اما بجعلها تتخذ وجهة خاطئة نتيجة لهجوم كاذب او عن طريق تبديدهم في حركات محلية • المعركة اذن تشمل صفحة تحضيرية لفترة تطول او تقصر تعقبها صفحة حاسمة • وبالاختصار اذن فان سوق المعركة بسيط ويكون معقدا فقط لان ادواتها جنودا لا آلات ، رغم ان الجنود قد يخدمون الآلات• ان الجيش حشد منظم والملاط الذي يجعله متماسكا هو النظام والثقة المتبادلة ، وعليه فان فن المعركة يشمل ادامة وتقوية التماسك النفسي للجنود اكثر من أية خطة او مشروع مبني على العوامل المادية وبالوقت ذاته زعزعة معنوية العدو • اذن فالعامل النفسي مهم جدا انه اساس التقنية المتنوعة والخطط العسكرية التي تبدأ متدرجة من صور الحرب الى صيحات المعركة ، او قنابل طائرات شتوكا الصارخة حتى الهجوم الخادع والى هجمات المباغتة المصممة،

على حد تعبير نابليون لتوليد « الذروة » • وهي النقطـــة التي تحطم عدهامعويهالعدو • ولا قاعدةللسوق الذي يستهدف الذروة فقديكون الهدف جنديا بين الصفوف • او قائدا للعدو ، والغاية من ذلك كله تحطيم ثقة العدو بترتيباته •

لذلك يمكن احيانا التوصل الى قرار بالوسائل العسكرية وحدها كنتيجة لسوق متفوق دون الدخـول بمعـركة كبرى ، بكل ما فى هذا المفهـوم الصـارم للمصطلح •

ان هذه الخطة قابلة التطبيق فقط في مجال الحرب البرية • اما في مجال الحرب البحرية فالعامل النفسي اقل اهمية طالما ان الجنود يبقون سوية مـع معداتهم ـ حيث لاتستطيع مغادرة طائرتك او سفينتك ـ ونتيجة لذلك فان عامل التجهيزات له اهميته في مجال السوق البحرى والجوى ، ومسائل كالسرعـة وقابلية المناورة ، والمدى او الحماية ، ووزن الحشوة يكون على العموم حاسـما وبينما تكون الغاية في البر تشتيت شمل العدو فانها في البحر والجـو تدميره ماديا • ان حساب البحرية يقدر بعدد السفن الغرقى اما حساب القوة الجوية فيقدر بعدد الطائرات المحطمة ويترتب على ذلك انه مالم يكن الجانبان متوازنين بشكل متساو ، عندها يرفض احدهمـا خوض المعـركة ونتيجـة لذلك فان التفوق في التجهيزات خليق ان يعتبر رادعا مهما لانه يثبت وجـوده فعـلا • ان السـوق البحرى والجوى يختلف عن السوق البرى وذلك لانه في هذه الحالة لاشيء يقابل الارض بكل مافيها من تعقيدات • ان المعركة في الجـو او البحـر يمكن تصميمها مسبقا اكثر من المعركة البرية لانها تحدث على سطح مستو او في الجو والخطر الوحيد الذى تتعرض له هو الرياح والشمس والغيوم وبالاضافة فان مفهوم القتال في الصفوف ، الذي له اهميته فيالبر ليس اكثر من صفحة عابرةفي القتال البحرى ولا يمكن تطبيقه على الاطلاق في القتال الجوى • ان المعـركة الجوية حصيلة عدد من المشاغلات الفردية هدفها انهاك العدو بتدمير تجهيزاتـه اما على الارض او في الجو فمفهومها يختلف اساسا عن مفهوم المعركة البرية •

ومما يجدر ملاحظته هنا هو ان هذا الفرق الاساسى له اهمية ملحـوظة اليوم لعلاقته بتصورنا العام للحرب • ان السوق البري الذي هدفه تشتيت شمل العدو يبحث عن قرار ما عن طريق التخطيط والمناورة اما السوق الجوى فانه يهـدف بصورة رئيسة الى التدمير المادى ولذلك فتقديراته تعتمد على القوة الصناعية ، الى درجة كبيرة • ان كلا المفهومين يتصارعان ويتوحدان اذا ما فكرنا بالحـــروب العصرية وسأعود الى هذه النقطة فيما بعد •

ســوق الحركات في البر

فى الحرب التى تدار باستخدام القطعات العسكرية يعتبر عمل المعركة ، وهو صفحة تتحدد بالوقت ، الذروة فى العمل • ان القوات المزمع اشراكها من قبل الفريقين ينبغى ان تكون ضمن المدى لكل منهما ومن الطبيعى ان يحاول كل جانب خوض المعركة فى ظروف مواتيـة له • ان المجمـوع الكلى للمواقـف والمناورات التى تساهم فى تكوين هذه العملية يدعى (الحركات)

آليـة الحركات

لقد تعرضت الحركات شأنها شأن المعارك لعملية تطور واسعة النطاق نظرا للتبدل الذي يطرأ على التجهيزات والسلاح • وهناك عوامل اخرى تميل لاعطاء الحركات تنوعا اعظم مثل : الارض وسعة ميدان الحرب نسبة الى عدد القوات المستخدمة وقابلية حركتها •

الدور الاول ـ الحركات وعمل المعركة كادوار متميزة مستقلة

في خلال الدور الاول الذي يشمل الفترة ما بين الماضي البعيد ونهاية القرن الثامن عشر كانت « الحركات » و « المعركة » اشياء متباينة تماما والسبب انه خلال هذه الفترة كانت التجهيزات بحيث لاتتيح لمفرزة منعزله قابلية مقاومة الا لـوقت محدود فقط • وان ازمع الجيش التنقل بامان كان عليه ان يظل متحشدا وبما ان الجيوش كانت صغيرة نسبيا لذا لم يكن باستطاعتها اقامة اكثر من نقطة ما تحاول

ان تثبت نفسها فيها ضد نقطة اخرى يمثلها جيش العدو • وبالاضافة فقد كان بالوسع استخدام الجيش فقط بعد ان يكون قد رتب حسب نظام المعركة ، وبكلمة اخرى بعد تأخير مؤكد يستغرق بضع ساعات او نهارا كاملا ، وعندما يلتقي جيشان ، فان احدهما او كلاهما يستطيع دوماً رفض القتال بالانسحاب • ان على اي جيش كان ان يعرض معركة على العدو او يقبل معركة معروضة عليه من قبل العدو او ينسحب موليا • وقد كان هذا يدعى (المعركة بالاتفاق المتبادل) •

وفي هذه الظروف كانت غاية الحركات اجبار العدو على قبول المعركة في ظروف لاتناسبه وكان هذا يتم بغزو وتدمير بلد العدو ، ولدحر اسلوب الحركات هذا كان الدفاع يجد ملجئا في منظومة من النقاط القوية تشكل لوحة (لعبة الداما) التي تتحرك عليها الجيوش والنتيجة كانت ان على المهاجم اجبار المدافع على قبول المعركة بمحاصرة المدن الهامة او التهديد باحتلالها • ان هذا الاسلوب المعتمد على شبكة من المدن المحصنة اصبح التعبير النهائي لفن الحركات خاصة في القرن السابع عشر • ولقد وصف هذا السوق فيما بعد بانه جبن ، غير ان هذا الاتهام لا اساس له • وكان واضحا جدا انه الحل الوحيد الممكن لظروف الفترة هذه • وفضلا عن ذلك فان نتيجة المعركة ، اجراء مجازف دوما ، خليق به ان يؤثر على نتائج الحملة كلها وكذلك تقليل ما هو مهيء للحرب ، مما يمثله وقتئذ الجيش ذاته ، لذا فعلى كل قائد ان يعمل كل ما في وسعه للتأكد من انه لن يقبل المعركة الا عندما يلوح له انه يتمتع بتفوق عددي عظيم او بأمر عظيم المزايا في الارض التي تقدم له على وجه التقريب نصرا مؤكدا • لذا كانت الحملات طويلة الامد غير حاسمة يتخللها الحصار بين الفينة والاخرى – ودعنا نوضح بانه كان مفهوما منطقيا – وضع بجلاء من قبل الماريشال دي ساكس [1] في كتاب

(١) الماريشال دي ساكس – عسكري الماني كبير في القرن الثامن عشر وهو مؤلف كتاب (دراسات في كتاب فن الحرب) وله قولته المشهورة وهي ان القلب البشري هو نقطة البداية في كل القضايا المتعلقة بالحرب •
– المترجم –

له حيث يقول « لست افضل المعركة واعتقد بان قائدا كفوءاً يتمكن من خوض الحرب طول حياته دون ان يضطر الى خوض « معركة » • ومن الضروري وقوع عدة اشتباكات محلية لانهاك العدو تدريجيا وهذه هي من اكثر الاساليب فعالية للسيطرة على العدو واسناد قضيتنا •

ولا اعني هنا عدم مهاجمة العدو عندما تسنح الفرصة لسحقه لكنني اؤكد فاقول بانه من الممكن شن حرب دون تكبد مخاطر المعركة وان استطاع قائد ما القيام بذلك فسيكون قد وصل ذروة الكمال والبراعة •

هكذا كانت طبيعة العمليات في غابر الايام ، وهكذا كان هدفها • وقد ظن الكثيرون بان هذه هي الطريقة السهلة لادارة الحرب ولو ان حذر القائد هو العامل الذي يضبطها ويسيطر عليها •

فياله من ضلال •••

الدور الثاني ـ الحركات والمعركة كادوار متميزة ولكنها متداخلة

طلع الفجر عند نهاية القرن الثامن عشر لينير باشعته افضل العقول العسكرية في ذلك الوقت مثل (بوسيكر وفولارد وخاصة جيبرت) ليطلعها على ان الاسلحة الجديدة ستجعل اشكالا من الحركات الحاسمة ممكنة • ان الشيء الذي حدث هو ان تطور البندقية قد اوجد قوة نارية متزايدة جدا ، وهذا جعل ممكنا توسيع نظام المعركة « الخط الرقيق ـ النظام الخطي ـ الى نظام معركة الصفوف الثلاثة » وقد ادى هذا التحول بدوره الى اتساع كبير في الخطوط الدفاعية المحصنة ، مما ادى في النهاية الى شل كل الحركات واستمرت الحروب غير ان ازدياد القوة النارية صار يعني ان مفرزة عسكرية منعزلة خليق بها ان تظهر مقاومة طويلة الامد • وعليه اصبح الجيش في هذه الحالة قادرا على التفرق بغية الحركة او قادرا على الاقامة بعيدا عن الوطن وكان هذا مبدأ الانقسام الى فرق ذلك المبدأ الذي وضعه جيل من النظريين العسكريين الكبار ، والصورة التي قدمها هذا المبدأ

ادت الى ثورة في فن الحركات . فقد دعى جيبير[1] لظهور اسكندر جديد يضع نظرياته حيز التنفيذ . فاستجيبت دعوته وظهر نابليون الذي كان اول من ادرك كل الامكانات التي تتيحها التطورات الجديدة .

لقد كان اساس نظام نابليون للحركات يتمثل في التميز المتقن بين الشبكة المبعثرة للتشكيلات المتفرقة وبين هيكل التوزيعات المتخذة للحركات والتحشد المطلوب للحركة اما اعداءه الذين كانوا يقومون بمناورات على اسـاس العرف انذاك فقد ضلو متحشدين نوعا ما. كان هيكل توزيعات نابليون المفتوح على نطاق واسع يمنع عدوه من معرفة المكان الذي سيحشد قواته فيه بل يعميه ويشله بهذا الاسلوب وهكذا كان يستطيع محاصرته ان ضل (ثابتا) كما في (اولم)[2] او ان يحاصره من الخلف ويقطع عليه خط مواصلاته حيث يضطر العدو على القتال من الخلف وللجبهة كما في معركة (يينا)[3] ومهما حدث فان العدو لم يكن يستطيع التخلص بل كان يجبر على قبول المعركة وان كانت الظروف غير مواتية له . لذلك ففي هذا الدور كانت الحركات لا المعارك هي العامل المسيطر وهكذا اصبحت الحرب مرة اخرى عملا حاسما وشاملا . ان تقنية الحركات خلال العصر النابليوني كانت حركية لكنها كانت تعتمد على ادامة وتجهيز الجنـود في الميدان وكان اساسها سلسلة من التنقلات المقدرة بعناية (سواء كان التحشد ممكنا ام كانت

---

(١) جيبير ـ كونت جيبير : من رواد الفكر العسكري في القرن السابع عشـر نشر سنة ١٧٧٢ كتابا بعنوان (دراسة عامة في التعبية) يمتاز هذا الكتاب بفصلين احدهما يبحث في الجيش الشعبي والاخر يبحث في حرب الحركة.

(٢) اولم ـ معركة جرت جوار مدينة اولم الواقعة جنوب غرب المانيا في مقاطعة ورتمبرج بادن على نهر الدانوب بين القـوات الفرنسية بقيادة (نابليون) والقوات النمسوية بقيادة (ماك) سنة ١٨٠٦ . وكان ماك يعتبر فـي حينه من اساتذة السوق في اوربا . كانت النتيجة استسلام الجنـرال ماك مع ثلاثين الف جندي حوصروا في مدينة اولم .

(٣) يينا ـ بلدة صغيرة في المانيا جرت جوارها معركة انتصر فيها الجيش الفرنسي على الجيش البروسي يوم ١٤ تشرين الاول سنة ١٨٠٦ مرتين في يوم واحد.

ـ المترجم ـ

التشكيلات تبادل الاسناد ، ام كان بالوسع احاطة العـدو) مقرونـة بالتقديرات المنطقية التي تجعل هذه التنقلات ممكنة • وبالاضافة فقد كان جيش نابليون ماهرا في مشاغلة العدو او قطع التمـاس به بسـرعة وهكذا اتاح له سـوق الحركات ـ الخاص به ـ نصرا تلو نصر •

لقد تعلم اعداء نابليون قوانين المعركة تدريجيا فقد رقصوا على انغام معزوفاته شيئا فشيئا ثم انتهوا الى تبني هيكل التوزيعات المبعثرة الذي يغطي قسما كبيرا من ساحة الحركات • وعليه امست المناورة على غرار النموذج النابليوني الكلاسيكي اصعب فاصعب وفي النهاية ادى النقص العام في موارد فرنسا الى اندحار نابليون•

غالبا ما كانت الدروس المستنبطة من سوق الحركات النابليوني دروسا رائعة لان الناس اعتقدوا انهم لمسوا مجموعة جاهزة من حلول عالمية صائبة بينما كانت في الحقيقة صائبة في ظروف زمنية معينة فقط • ينبغي ان لا تخدعنا دقة تقديرات الامبراطور لانه لم يكن يمتاز بذلك فقط ـ بل كان ذا مزية اخرى اذ كان تفكيره يفوق تفكير اعدائه جدا ـ وقد نمت هذه المزية بفضل الهالة السياسية المحيطة بالجيش الفرنسي الذي كان يحارب تحت راية المثال الثوري • وقـد قدم لنـا الوطنيون في كل مكان على الاغلب (مثلا : في ايطاليا والمانيا) العون والمساعدة وعندما لم يعد هناك وطنيون كما في اسبانيا وروسيا فان المخـاطر المتعلقة بهـذا النوع من الحركات كانت اعظم مما يقتضي ولم يكن باستطاعة احد اسـتخدام نظام نابيلون منذ عهده (عهد نابليون) حتى الآن •

الدور الثالث ـ الحركات والمعركة « مندمجة »

كان هناك سبب حاسم اخر لاختفاء النظام النابليوني فان القوة النارية التي كان ذلك النظام لفترة ما جوابا لها استمرت في التزايد لتجرد السوق النابليوني من اثره • ان تضخم كل من القوة النارية وحجم الجيوش خلال القرن التاسع

عشر دل على ان الترتيبات المتخذة للحركة يمكن ان تحول بسرعة متزايدة جدا الى الوضع الذي يخدم متطلبات المعركة • ان الترتيبات القديمة للحركة ، وهي شبكة واسعة النطاق من الارتال المتوازية اصبحت الآن جبهة وسواء اعدت هذه الجبهة للحركة ام للمعركة فان القطعات ستكون كافية الكثافة على الارض لتشكيل حاجز مستمر من الجنود المقاتلين • وفي هـذا الدور النهائي للتطور اندمجت الحركات والمعركة واختفى الفن القديم للحركات وفق مفهوم نابليون والماريشال دى ساكس ، ومن جهة اخرى فقد اصبح سوق المعركة مهما بقدر ما كان عليه سوق الحركات من الاهمية سابقا وقد زاد تضخم القوة النارية من القدرة الدفاعية لجبهة مستمرة ولذا امست عملية الخرق عسيرة ونتيجة لذلك اصبحت العمليـة الحيوية هي احاطة الجناح (مثلا : ورث وسيدان[1] ومكدن[2] او خطة شليفن[3]، تمديد الجبهة الى ما وراء العدو) • وبما ان انتاج الاسلحة اصبح ارخص كما ان التجنيد وظهور سكك الحديد جعل ممكنا نقل وادامة جيوش اكبر فاكبر ، لذا اصبحت الجبهات اوسع الا انها مشغلة بكثافة اقل •

---

(١) معركة سيدان ـ معركة فاصلة في حرب سنة ١٨٧٠ التي جرت بين فرنسا والمانية ادت الى اندحار الجيوش الفرنسية في سيدان • واسر نابليون الثالث• كان قائد الجيوش الالمانية في هذه الحملة فون مولتكه الكبير وكان بسمارك رئيسا للوزارة الالمانية • حققت هذه الحملة قيام الامبراطورية الالمانيـة وتنازل فرنسا عن الالزاس واللورين واعلان الجمهورية الثالثة فى فرنسا• الملحوظ فى هذه الحرب فى الناحية العسكرية بصورة رئيسة استخـدام السكك الحديدية للتحشد بشكل مؤثر •

(٢) معركة موكدن ـ احدى المعارك الحاسمة التى انتصر فيها اليابانيون على الروس فى الحرب الروسية اليابانية التى نشبت سنة ١٩٠٤ وبدأت بهجوم يابانى مباغت على الاسطول الروسى فى ميناء بورت آرثر • خسر الروس فى معركة موكدن ثلث جيشهم تقريبا •

(٣) خطة شـــليفن ـ تثبيت الجناح الفرنسي الايمن والحركة بالجناح الالماني الايمن نحو الجناح الفرنسى الايسر • ويضم الجناح الالمانى الايمن كتلة الجيوش الالمانية وتتحرك كالمروحة ما بين متزواكس لاشايل ثم تعبر نهر السين وتتقدم شرقا لتعمل جنوبى باريس وتحاصر الجيوش الفرنسيـة مابينها وبين قلاع الحدود السويسريـة فتعزلها عن البحر وعن التعاون مع انكلترا وتقضى عليها • ـ المترجم ـ

لقد ادى هذا الى تطور لم يدركه معاصرو العهد • فقد كان الالتفاف حول جانب ما يستطيع ان يكون حاسما فقط لو كان بالوسع تنفيذه بسرعة ، وبكلمة اخرى قبل ان يتمكن العدو من الانسحاب او من جلب احتياطه ، ويمكن ادراك موقف كهذا اذا ظلت الجبهات صغيرة نسبيا ولم تكن الاحتياطات على قدر من قابلية الحركة اكثر من القوات القائمة بالالتفاف غير انه في سنة ١٩١٤ لم تعد هذه المناورة ذات اثر ، اذ كانت الجبهة تمتد الى مسافة ٢٠٠ ميل وكانت خطة شليفن تهدف لاحاطة جانب ما باستخدام المشاة • ان الجبهة المحاطة انقذت نفسها بسهولة نسبية عن طريق الانسحاب، وكان الاحتياطي ينقل على السكك الحديدية الى منطقة باريس ويحول الى قوة استطاعت احاطة حركة الاحاطة المعادية وكانت هذه معركة المارن[1] ولكن العدو بدوره استطاع انقاذ نفسه عن طريق الانسحاب • وما جرى كان حقيقة واقعة لتطبيق تعاليم تلك الفترة حيث نفذت حركة الاحاطة لكنها بدورها احبطت مرة اخرى •

لقد وضع السباق الى البحر ختم الافلاس على تعبية الالتفاف فقد امتدت الجبهة من سويسرا الى بحر الشمال وتوقفت هناك • وهكذا وصلت فترة الحركة الى نهايتها •

---

(١) المارن – نهر فى فرنسا جرت جواره فى الحرب العالمية الاولى عدة معارك دعيت باسمه كان لها الفضل فى ايقاف التعرض الالماني وقلب حرب الحركة الى حرب موضعية استمرت حتى انتهاء الحرب • قاد التعرض الفرنسى الجنرال جوفر فاندفع الجيش الفرنسى والانكليزى مستغلا الثغرة التى حصلت بين الجيشين الالمانيين جيش فون كلوك وجيش فون بولو • وحيث ان الاخبار بدأت ترد القيادة العامة للجيش الالماني (مولتكه الصغير) مرتبكة فارسل العقيد الركن هنسن للتداول مع قادة الجيوش وتم الاتفاق على التراجع الى محاذاة نهر (الايزن) مع العلم ان الجيوش الحليفة المتعرضة لم تعبر المارن عدا الجيش الانكليزى • وكان بوسع الالمان معالجة عبور الجيش الانكليزى والصمود على المارن • ويعتبر الباحثون العسكريون ان انسحاب القطعات الالمانية من المارن خطأ سببه تضارب المعلومات الواردة للقيادة العليا الالمانية فادى بها لاصدار امرها بالانسحاب الى نهر الايزن •
– المترجم –

ان ثبات الجبهة عبر ميدان الحركات برمته جاء مباغتة تامة لكلا الجانبين . وقد كان هذا موقفا سبق ان شوهد في الحرب الاهلية الامريكية وفي منشـوريا حيث استخدمت تحصينات الميدان على نطاق واسع . ومع هذا فقد بقيت جوانب مفتوحة . الامر الذي يدل على ان امكان القيام بحركة التفاف لا زال قائما . لقد كانت ظاهرة جبهة ثابتة مستمرة حصيلة حقيقتين : ان القدرة الدفاعية للمشـاة كانت وقتئذ عالية لانهم كانوا مسلحين بالرشاشات ومحتمين بالاسلاك الشـائكة والخنادق وبالوقت ذاته كانت اعداد الجنود المستخدمة كبيرة . وبما ان منـاورة الالتفاف لم تعد ممكنة فقد اقتصرت الحركات او المعركة على محاولات لاختراق الجبهة املا في استئناف الحركات السيالة في النهاية .

وعليه بدت الحرب عندئذ وكأنها ليست مسألة حركة وتنقل بل مسألة قوة نارية ، كانت المسألة حشد معدات كافية (من المدافع والعتاد) لسحق جبهة العدو ومن ثم استثمار الثغرة الناجمة عن ذلك باستخدام كتل المشاة . وكما فشلت حركات الالتفاف لان الالتفاف كانت تنقصه قابلية الحركة الكافية ، فـان عملية الخرق فشلت ايضا لان الهجوم مشيا على الاقدام لم يستطع التقدم الى الامام بنفس السرعة التي كانت تصل بها الاحتياطات بواسطة السكك الحديدية والحافلات . لذلك فقد تراكد الهجوم في جيوب مخيبا امل الاركان الذين ما ادركوا اهمية قابليـة الحركة التعبوية ولا عرفوا اثارها الممكنة . وعندما امسى الخرق امرا بعيد المنال هبطت الحركات الى مستوى حرب ابادة (السوم وفيردون)[1] والناس يوامون

(١) السوم وفيردون ـ السوم منطقة فرنسية يمر بها نهر السوم وكانـت للالمان في الحرب العالمية الاولى مواضع دفاعية فيها تعرضت سنة ١٩١٦ ـ ١٩١٧ الى هجوم انكليزي عنيف بلغت فيه خسائر الطرفين حدا كبيرا . في هذه المعركة استخدم الانكليز الدبابة لاول مرة في الحرب الحديثة الا ان استخدامها لم يحدث اثرا كبيرا لانها استخدمت بشكل متفرق وبدون فطنة وممارسة .
اما فيردون فهي مدينة على نهر الموز في فرنسا تعرضت لهجوم الماني شديد في الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٦ الا انها لم تسقط رغم سقوط بعض حصونها الخارجية بيد الالمان . كان يقود الدفاع عنها الماريشال بيتـان وكان شعار الدفاع الفرنسي (لن يعبروا) . ـ المترجم ـ

انفسهم انهم بعملهم هذا ينهكون احتياطي العدو • لقد ادرك فوش في النهاية فكرة العمل بتعرضات متعاقبة محدودة غايتها تكوين جيوب تتبادل الاسناد فيما بينها • لقد استوجبت تعبية المعركة هذه في فرنسا ، على كل حال ، استخدام طاقات هائلة فاصبحت الحركات (او : السوق كما كان يدعى عصرئذ) محض مباراة في ميدان الموارد المادية وبمثل هذا المبدأ خضنا الحرب سنة ١٩٤٠ •

الدور الخامس – المعركة كاستعداد للحركات

لقد شهدت حملة ١٩٤٠ انهيار هذا المبدأ • كان العامل الجديد في التعبية هو توحيد استخدام المعدات الجوية والدبابات ضد جبهاتنا الخطية الثابتة حيث احرز الالمان خرقا سريعا في كل مكان ، والسبب هو ان قابلية الحركة التعبوية للهجوم وصلت في النهاية الى مستوى مرض اذا ما قورنت بقابلية الحركة السوقية لقوات الاحتياط • وهكذا اصبحت حرب الحركة ممكنة مرة اخرى • كانت الحركات تتكون من صفحة قصيرة عنيفة تجلب خلالها قوات الخرق الى موضعها كي تنطلق للهجوم ثم يعقب ذلك صفحة استثمار اختراق عميق مع حركة التفاف وقد برهن هذا الاسلوب على حسميته • ومن الغرابة بمكان ان يكون هذا الاسلوب على غرار اسلوب القرن الثامن عشر بصورة معكوسة فقد كان عمل المعركة يسبق ويهيء للحركات الحاسمة وهكذا استعاد عامل الحركة والتنقل مركزه ذا الاهمية الفائقة • لقد سترت الظلال هذا التطور نوعا ما خلال المراحل الاخيرة في الحرب طالما جعلت تعبية الدفاع حركة الخرق امرا اقل سهولة • وقد شملت الحركات في كل من روسيا والجبهة الغربية سلسلة من المعارك اعقبها استثمار الفوز وهكذا كانت القوة التعرضية العامل الرئيس في مرحلة وقابلية الحركة في مرحلة اخرى • لم تكن هناك حركات ذات قابلية حركة خالصة على نمط حركات القرن الثامن عشر ، ربما عدا ما جرى – في ليبيا – حيث كانت القوات صغيرة جدا بالنسبة الى سعة الميدان وهكذا فالحركات والمعركة بقيتادورا واحدا •

بجانب ذلك وخلال حرب سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٥ وضع مفهوم عملي جديد حيز التنفيذ لاول مرة ، وهو ان بالوسع احراز قرار ما بابادة الخصم بالقوة الجوية • ولقد جرى تطوير هذا المفهوم في آن واحد بصورة مستقلة في كل من بريطانيا وايطاليا خلال السنوات الثلاثين من هذا القرن وكان هذا المفهوم يستند على افتراض ان القوات البرية عاجزة عن احراز قرار ، والواقع ، من وجهة نظر (دوهيه) فقد كانت القوات البرية هزيلة في ضوء تعبية العصر مقرونة بحصانة الحدود المارة من جبال الالب اما القوة الجوية البريطانية فقد استهدفت التوصل الى قرار عن طريق العمل الجوى ليس الا ، على الرغم من حقيقة ان سنة ١٩٤٠ قد برهنت على ان احراز القرار في البر كان ممكنا • ان قيادة القاصفات التي عززت فيما بعد من قبل الامريكان هيأت نفسها لسحق المانيا بالقصف • كانت الموارد المستخدمة هائلة والابادة رهيبة ، لكنها لم تكن حاسمة بحد ذاتها كان القرار كما في سنة ١٩١٨ نتاج سلسلة من المعارك البرية بفعل الحصار والقصف الجوى •

الدور السادس : الجبهة اصغر من ميدان الحركات

بعد الحرب جاء السلاح الذري الذي لا اريد التطرق اليه هنا • وبقدر ما يتعلق الامر بالحرب التقليدية ، على كل حال ، فقد كان هناك تطور آخر • اذ تناقص حجم القوات المسلحة بصورة ملحوظة بسبب النفقات الهائلة المطلوبة لا لتأمين التجهيزات الجديدة فحسب بل للاستعداد للحرب النووية ايضاً • وبالوقت ذاته كانت القوات اكثر قابلية حركة مما كانت عليه في الماضي وهكذا وجدت القوات البرية نفسها تواجه مشكلة ما اذا كان عليها التفرق لحماية منطقة اكبر فعلا او تبقى متحشدة نسبيا في جبهة ضيقة وتقبل بالثغرات الناجمة عن ذلك وبالجوانب غير المحمية • ولحد الآن يبدو ان هذه المشكلة قد حلت جزئيا ، غير انه لم يكن بالوسع من الناحية الفنية وضع المناطق الكبيرة تحت المراقبة ليل نهار دون استخدام عدد ملحوظ من القوات - لذلك يبدو ان بعض التفرق

لا مناص منه - والنتيجة هي ان المناطق الممكن حمايتها بكفاءة ستكون مفرطة في الصغر • وهناك اخطارا ايضا في قبول جبهة لا تستر ميدان الحركات باسره وذلك بسبب قابلية حركة القوات المنقولة ارضا وجوا • - ان من الضروري - دون شك ، التوفيق بين هذين الامرين •

ان بالوسع تكوين استنتاج واحد من دراسة التطور في الماضي • ان الموقف الراهن يعنى ان القتال لتثبيت الجهة في مجال الحرب التقليدية (غير النووية) على غرار نموذج حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ سيكون مستحيلا وبناء عليه فسيكون الموقف السوقي سيالا جدا •

ستصبح المناورة اعظم اهمية بسبب قابلية الحركة الكبيرة التي تتمتع بها القوات الحديثة بفضل التألية والمواصلات السريعة جدا • وقد يكون بالوسع التوصل بسرعة الى قرار •

واخيرا فان تيسر القوات الجوية المنقولة جوا سيعطي عمقا كبيرا للمعركة البرية • وسترى المعركة في منطقة وليس على طول جبهة ما •

استنتاجات

يمكن استخلاص الاستنتاجات التالية من هذا التحليل القصير :-

(١) لقد تناوب العامل الرئيسي في الحركات بصورة اساسية ، بين الحركة في كفة والقوة في الكفة الاخرى ، واحيانا ما كانت احداهما اعظم اهمية من الاخرى ، وفي الفترات المتداخلة كانت كل منهما ذات اهمية بنسبة متفاوتة •

(٢) لقد وقعت عملية التطور هذه الى حد كبير تحت سيطرة العوامل التعبوية • ان هذه العوامل التعبوية المعتمدة على التسلح والتجهيز وسياق المعركة يمكن تلخيصها الى ما يلي :-

القدرة التعرضية •

القدرة الدفاعية •

قابلية الحركة السوقية (اى قابلية الحركة خارج المعركة)
قابلية الحركة التعبوية (اي قابلية الحركة داخل المعركة)

ان عدد وتنوع الاجوبة المتعلقة بقضايا الحركات لفترة ما ، كانت نتيجة لتبدل مستديم في نسبة الاهمية بين هذه العوامل الاربعة .

(٣) ان حجم القوات المتوفرة بالنسبة للمكان كان عاملا مسيطرا آخر على عملية التطور .

(٤) لقد وجه الاهتمام الى مسألة الابادة خلال فترات كانت فيها الحركات (بالمعنى الصحيح للكلمة) عاجزة عن تكوين قرار ما، وقد كانت النتيجة مجهودا عسكريا هائلا وانهاكا متبادلا للمتحاربين .

(٥) كانت الحركات ، باعتمادها على الاهمية النسبية للعوامل اعلاه ، اما حركية لكنها غير حاسمة ، او حركية لكنها حاسمة الى حد كبير ، او متوازنة دون نتيجة ، او ثابتة . وقد جاء كل تغيير مباغتة للناس في فترة معينة لان المعتقد خلال كل فترة بان مبادىء سوق الحركات السائدة وقتئذ ستبقى ثابتة بينما هي بالواقع في تبدل مستديم .

ان النقطة الاخيرة تبين اهمية ادراك آلية سوق الحركات وذلك لئلا تباغتنا التغيرات المتعلقة بها ولاجل ان نستطيع ان امكن تقدير هذه التغيرات بصورة اصح واسرع من العدو .

الحركات والموقف السوقي

لقد كان ضروريا ان تلعب لعبة السوق خلال كل فترة من فترات التطور ضمن حدود معينة ، وقد وضعت الحركات التي يكون انجازها امرا ممكن التنفيذ فنيا مثل هذه الحدود . وعلى القائد العسكري ان يقرر ضمن هذه الحدود ، نوع المناورة المزمع قيامه بها لتنفيذ الواجب الذي انيط به من قبل السلطة السياسية .

ان نوع المناورة المختارة يعتمد بصورة جلية على العلاقة المتداخلة بين الواجب

المعين والقوة النسبية للعدو ولقواتنا ، والارض • ان الواجبات الممكن اناطتها بالقوى المسلحة يمكن تلخيصها الى ما يلي :ـ

غزو الاقليم لحرمان العدو منه ، تدمير قوات العدو او انهاكها ، العمل بسرعة لكسب الوقت •

وبعد مراعاة التحديدات المفروضة على خطط الحركات وخطط التعبية من قبل الظروف والاسلحة السائدة ، فالعمل المطلوب انجازه سواء كان يسيرا ام عسيرا سيقتصر على تحديد صارم للامكانات وقد اظهر التحليل السوقي في الفصل الاول ان اختيار مسلك ما للعمل الذي ينبغي على القائد القيام به هو مظهر من مظاهر السوق • ان هذا الخيار هو الذى سيقرر الموقف السوقي الذي سيتخذ خلال حملة ما •

لست انوى تلخيص شرح المسائل المعقدة المتعلقة بقرار سوقي طالما انها بحثت آنفا • ولا حاجة الا لالقاء نظرة عاجلة على الاستنتاجات الاولية التي استخدمت لحد الآن في لعبة السوق •

(١) عندما تفوق مواردنا تلك التي للعدو وتكون قدرتنا على الضرب كافية فان الحملة ستدار بشكل تعرضي وهدفها معركة حاسمة • وهذا هو السوق التعرضي باسلوب التقرب المباشر والغاية منه حشد اقصى ما يمكن من الموارد ضد الكتلة الرئيسية المعادية •

(٢) اذا لم يكن تفوقنا جليا ، او اذا كان العمل التعرضي اقل احتمالا من ان يؤدى الى نتائج بسبب الظروف التعبوية لفترة معينة ، فهناك خياران اثنان :

أ ـ انهاك العدو بعمل دفاعي يعقبه تعرض مقابل وهذا هو السوق (الدفاعي ـ التعرضي) بالتقرب المباشر •

ب ـ الاخلال بتوازن العدو بهجوم صوري يسبق العمل الرئيس • وهذا هو سوق مباشر يستخدم اسلوب التقرب غير المباشر •

(٣) اذا كانت الموارد المتاحة غير كافية للتوصل الى النتيجة المنشودة • فسيلعب العمل العسكري دورا مساعدا فقط ، وستكون المناورة عندئذ جزء من السوق الاشمل على النمط غير المباشر • حيث يتم التوصل الى قرار عن طريق التوحيد المناسب بين الاعمال الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية •وفي هذه الحالة قد تستخدم القوات العسكرية اما لتجربة محلية للقوة بحركات محدودة او لانهاك العدو باستخدام تعبية العصابات للمساهمة في التوصل الى قرار عن طريق التهديد المطلق لوجوده (الحركات وعلاقتها بالند المقابل السوقي) • عندما يقرر موقف سوقي عام فسنترك نحن والتنفيذ الناجح للخطة • وبما ان العدو سيحاول على غرار اجراءاتنا جعل خطته عامة فستكون النتيجة صداما ديالكتيكيا حيث يحاول كل جانب التحقق من ان ارادته ستكون هي السائدة • وقد تحدثنا عن المبادىء المسيطرة على هذا الصدام في الفصل الاول • وعلى كل حال فسيكون تطبيق هذه المبادىء متباينا في كل مرة والاشكال التي سيتخذها الند المقابل السوقي ستكون من التنوع بحيث يصعب تميزها • ان هذا الصدام متوقف على الظروف الراهنة فهو قد يرتبط بمبارزة خفيفة بين متبارزين اثنين مسلحين ، بالسيوف او بمبارزة تستعمل فيها سيوف ثقيلة او بمبارزة تستعمل فيها هراوات من الثقل بحيث يكاد يصعب رفعها ، او خصام بين رجلين غير مسلحين ، وفى هذه المبارزة وعلى غرار المصارعين القدماء لاحاجة لان تكون معدات المتخاصمين متماثلة فان السيف (نابليون) قد يقاومه السيف الثقيل (ماك) والرجل غير المسلح (شعب المستعمرات) قد يقابل شخصا مسلحا بخنجر (حروب المستعمرات) وكما ان الفلم يمكن عرضه بسرعة او ببطء فان المتبارزين قد يظهرون مرة وهم يقفزون ويثبون واخرى يتحركون ببطء • ان اى تغير فى طبيعة الخصام سيكون النتيجة المباشرة للقدرات العملية والمنطقية الراهنة وللذكاء الذى يستخدمه القادة المتخاصمون •

لقد ذكر الجنرال كاملان[1] في مقدمة لكتاب ألفه سنة ١٩٣٤ بان مفهوما مماثلا بالضبط كان اساسا للصفحة الاخيرة لمعركة فرنسا لسنة ١٩١٨ ولخطة التعرض رقم (١٧) على الاردنيز سنة ١٩١٤ واسترسل موضحا أنه خلال الفترة المتخللة اقتربت الاساليب من مستوى المطاليب السوقية ، لذلك فقد كان للسوق اخيرا موارد متوفرة تجعل المناورة المرغوب فيها سهلة • ان وجهة النظر هـذه تستند بصورة رئيسة على تماثلات جغرافية وتبين بوضوح ضلال محاولة المقارنة بين عملين حدثا خلال فترات للتطور متباينة في ظروف مختلفة على الرغم مـن انهما يبدوان متشابهين ويحدثان في المنطقة ذاتها من الارض • ان التعرض على الاردنيز سنة ١٩١٤ كان عملا جنونيا لاسباب ثلاثة :

أ ـ ان الطاقة التعرضية المحدودة في تلك الفترة دلت على ان العمـل كان مصيره الفشل مسبقا •

ب ـ الارض كانت غير ملائمة •

جـ ـ عن طريق التقـدم في المركز وترك موارد غير كافية لضبط الجناح الالماني الايمن جعلنا انفسنا معرضين لحركة التفاف •

كان الموقف سنة ١٩١٨ بخصوص اثنين من هذه العوامل الثلاثة على النقيض مما ذكر لان الارض لازالت غير ملائمة ولكن :

أ ـ القدرة الهجومية كانت قد تطورت بصورة ملحوظة •

ب ـ اوقف العدو في كل مكان وكان احتياطيه قد استهلك ، فبتقدمنا في المركز هددنا بالالتفاف الجناح الالماني الايمن بكامله •

وتظهر نقطة اخرى من خلال هذه المقارنـة بين سنتي ١٩١٤-١٩١٨ وهي

---

(١) كاملان ـ موريس كوستاف كاملان ـ رئيس اركان حرب الجيش الفرنسي الذي انهار سنة ١٩٤٠ وكان ممن يعتمدون على التحصينات مثـل خـط ماجينو الذي انهار امام التعرض الالماني جوار مونتميدي ـ سيدان فـي سنة ١٩٤٦ نشر كتابه (الجيوش الفرنسية سنة ١٩٤٠) برر فيه دوره في هزيمة الجيش الفرنسي سنة ١٩٤٠ • ـ المترجم ـ

قابلية الحركة الملحوظة لقوات سنة ١٩١٤ والتثاقل الهائل لقوات ١٩١٨ وبتعبير آخر فان قوانين التقابل السوقى خلال السنوات الاربع تلك كانت قد تغيرت تماما كما حدثت تغيرات اساسية اخرى بين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٤٠ واخرى بين سنة ١٩٤٠ و ١٩٤٥ •

كل ذلك يظهر المشكلةالاساسية للفن العسكرى : انه عرضة للتغير المستمر• ويمكن تفسير الحوادث الماضية بطريقة عقلانية منظمة ، رغم وجود اختلاطات من التخمينات •

وفى المستقبل القريب الذى تقضى الضرورة ان يكون موضع الاهتمام الرئيس للفكر السوقي ينبغي ان نستند على تجارب الماضي ونكيف عن طريق تفكير اصيل هذه التجارب وفق الاساليب الجديدة المتيسرة • ان اى تحديد قد يكون خطرا عظيما لكن كل الامور الموضوعة بشكل رتيب يصيبها الفشل مسبقا •

بهذه اللعبة الرهيبة التخمينية نوعا ما يتمثل مفتاح طريق التفكير المطلوب لادراك التغيرات الناجمة فى سوق الحركات •

الفصل الثالث

السـوق النـووي

ان السوق النووي او بالاحرى تطبيق السوق على نتائج تطور السلاح النووى قد ادى الى تبلبل بارز فى المفهوم الكلي لاستعمال القوة سواء لادارة الحرب او لصيانة السلم • ومن الاهمية بمكان تحليل العملية التي ادت الى التغير ليكون بالوسع الحكم على مقياس البلبلة وربما محاولة التنبؤ بالوضع الذي تقودنا اليه عملية التطور التي تحدث الآن •

اهمية واصل السـلاح النـووي

اذا ما قورن السلاح النووى بوسائل الحرب الحديثة فانه ليس سلاحا شبيها بباقي الاسلحة لكنه اقوى منها ، كما يوصف احيانا •

ان قوة السلاح النووى تضعه فى مرتبة تختلف عن اى شيء آخر عرف حتى الآن • ان الحجم المتوسط للقنبلة الذرية ذات الـ (٢٠ كيلو طن) ينتج انفجارا يعادل اربعة ملايين قنبلة مدفع ميدان • ان قنبلة حرارية ـ نووية متوسطة الحجم (ميكاتون واحد) تعادل قنابل مائتي مليون مدفع ميدان(١) وان تأثير الانفجار يتضاعف بالانتشار(٢) •

ان هذه الطاقة الانفجارية الواسعة يمكن اطلاقها وتوجيهها من قبل عدد ضئيل من الجنود • ان هذه المسألة ليست اقل من ان تعادل ثورة كاملة • بجانب ذلك فان مدى اسلحة اطلاق القنبلة يقرب من نصف محيط الكرة الارضية لذلك فسيكون بالوسع مهاجمة اي نقطة على سطح الارض بدقة ملحوظة والآن فان المدى

---

(١) بالانفلاق العالي جدا قد تغطي الكرة النارية مئات الاميال المربعة •

(٢) فى حالة الانفلاق الواطىء قد يغطي الانتشار بضعة مئات من الاميال المربعة •
ـ المؤلف ـ

قد وصل من حيث سعة قوس الارسال الى تسعين درجة من درجات العرض او الطول ، الامر الذى يعنى ان تهديد سلاح منفرد من هذه الاسلحة يشمل نصف الكرة الارضيه برمته •

ونتيجة لهاتين الميزتين (القوة والمدى) ولد السلاح النووي ظاهرة جديدة تماما • لا علاقة اليوم بين قوة القوات وحجمها فقبل سنوات قلائل كان ينبغى وجود الف طائرة لتدمير (هامبرغ)، ومدافع جيش باسره لتدمير برلين ، اما اليوم فبالامكان تدمير هاتين المدينتين من قبل طائرة منفردة او قذيفة واحدة •

بالاضافة الى ذلك وعلى النقيض من ضخامة القوات المسلحة الهائلة ، فان هذه القوة المدمرة الهائله ، متحركة وتستطيع الوصول الى اي قطر • ان الدفاع من قبل حاجز هائل من الجنود على طول الحدود ، ذلك الدفاع الذي تؤمنه الجيوش عاجز الآن عن حماية اي بلد من التدمير المادي او التلويث النووي لذلك فان القوة المسلحة التقليدية تبدو لاول وهلة على الاقل عديمة الجدوى تماما •

اشكال السوق النووي

لتأمين الحماية ضد هذا التهديد الذى لم يسبق له مثيل تبدو هنالك اربعة مسالك ممكنة للعمل :ـ

أ ـ التدمير الوقائى لاسلحة العدو (اسلوب الهجوم المباشر)
ب ـ التصدى للاسلحة النووية المعادية وهى فى حالة المرور (الاسلوب الدفاعي) •

جـ ـ الحماية البدنية ضد تأثيرات الانفجارات النووية(اسلوب دفاعيآخر)

د ـ التهديد بالثار (اسلوب الهجوم غير المباشر) • لقد استخدمت هذه الانواع الاربعة من ردود الفعل بالاجماع بنجاح مختلف واستجمعت اخيرا على شكل نظرية سوقية بالغة التعقيد •

١ ـ لقد ظهر مبدئيا ان احسن حل هو التدمير الوقائى المستهدف ليس بالذات الاسلحة النووية المعادية ، والتي يتعسر استمكانها ، بل انتاج العدو وقواعد اطلاقه •

كان الامريكان يتمتعون بتفوق ملحوظ وكان العدو لا يملك من وسائل ارسال القذائف النووية سوى الطائرات المحددة بقواعد يسهل تثبيتها لذلك كان معقولا التظاهر بامكان تدمير موارد الاسلحة النووية برمتها وقد وضعوا (اي الامريكان) تعبية الابادة التي كانت اهم ميزة لها خطة نارية نووية تعد لمهاجمة كل هدف معروف •

لقد استمرت هذه الحالة فترة وجيزة جدا • وبازدياد موارد العدو وباتخاذه تعبية التفرق ، ارتفع عدد الاهداف وعلاوة على ذلك لم يكن بالوسع التخطيط لمعالجة اهداف متزايدة ، مسبقا ، حيث ان العدو قد اتخذ استعدادات للتفرق بعد الانذار الى عدد من المطارات المتبعثرة التى بالكاد استمكانها او قد لا يمكن استمكانها بالمرة ، واخيرا فالسياسة الدفاعية التى اعلنتها (منظمة حلف شمالى الاطلسى) جعلت من الصعب اخذ المبادأة للشروع بحرب نووية • لذلك فانها لا تنظر الى اى هجوم نووى الا كرد ثأرى ليس الا• وهذا يعنى التنازل عن الضربة الاولى للعدو ويعنى هذا بدوره ان تدمير اسلحة العدو النووية سوف يعتبر وقائيا ولذلك تصبح الاشكال الاخرى للحماية والتصدى في اثناء المرور ، والحماية البدنية والتهديد بالثأر ذات اهمية حيوية وسنتطرق اليها فما بعد •

وبالوقت ذاته ادت دراسة مسألة التدمير الى نتيجة هى ان القدرة على شن هجوم مباغت ذات اهمية عظمى ، وعندما يصل العدو الى مستوى معين فان هجوما مباغتا قد يؤدى الى دمار من الجسامة بحيث تكون قدرتنا على الثأر مشكوكا بها •

ولقد ساور القادة لعدة سنوات خلت امل فى احداث (بيرل هاربر ـ ذرى)[1].
وكانت النتيجة تطوير «التعبية المضادة للمباغتة » والتى ستبحث تحت عناوين اخرى ، اذ وصلت هذه التعبية الى مستوى عال من الكفاءة واذا كانت سياسة الثأر مؤثرة فمن الضرورى ادامة المقدرة على الثأر بمستوى يكفى ان امكن ، للتخلص من مقدرة العدو التدميرية او على الاقل تقليلها . وعند هذه النقطة فان تنوع منظومات ارسال القذائف النووية وظهور الصاروخ زاد جدا من صعوبة المشكلة ثم ظهرت مدرسة فكرية زعمت بان تعبية « القوة المضادة »[2] مصيرها الفشل والحقيقة فان من المستحيل الآن تدمير كل شيء ، غير انه من جهة اخرى، فمن الخطر الهائل الابقاء على اى قسم من قوة العدو النووية . وكحد ادنى لابد ان يكون بوسعنا دوما تدمير اكثر عناصر قوة العدو عطبا مثل الانواع المضمحلة المطائرات وحلقات الرادار وهذه تشكل فى الحقيقة جزء ملحوظا من موارده واليوم يوجد اتفاق عام على ان بوسع تعبية القوة المضادة ان تكون مؤثرة جزئيا ويعتقد الى الآن بانها ضرورية على كل حال ، ونتيجة لذلك فاننا مدعوون باستمرار لمحاولة زيادة وسائل ارسال القنابل النووية لدينا .

ومن جهة اخرى فان عددا كبيرا من الاهداف يوجد فى الدول التابعة (للاتحاد السوفياتي) حيث من الضروري في تعبية التدمير بذل كل جهد لاقتصار التدمير على المنشئات العسكرية وعليه فهناك حاجة ماسة الى درجة عالية من الدقة لذا فمن الضرورى عدم استعمال القنابل النووية ذات التدمير الواسع .

كل هذا يعنى بان البرنامج الناتج باهض الثمن ولذلك فقد وصل دور التطور هذا الى حد بعث فكرة القيام بعمل وقائى حقيقى مدفوعين للاعتقاد بان النتائج

---

(١) بيرل هاربر ـ قاعدة بحرية امريكية مساحتها ٢٦ كيلو متر مربع تقع جنوب المحيط الهادى . شن اليابانيون هجوما جويا صاعقا مباغتا على هذه القاعدة صباح يوم ٧/ديسمبر/١٩٤١ وانزلوا بها دمارا عظيما واغرقوا عدد من السفن الامريكية الراسية فيها والحقوا اضرار بسفن اخرى وكان ذلك فاتحة لدخول امريكا الحرب العالمية الثانية . ـ المترجم ـ

(٢) تعرف هذه عموما باسم « سوق القوة المضادة » وهو في الواقع اسلوب لتطبيق السوق لهذا فهي من اشكال التعبية . (المؤلف)

ستكون اعظم لا بسبب عدم تكبدنا من اثار الضربة الاولى المعادية فحسب ، بل لان العدو الذى سيكون غير متفوق ولا على اهبة الاستعداد - لتلقى الضربة سيتكبد نتيجة لذلك ، تدميرا اعظم • ولاجل التوفيق بين هذا المفهوم للعمل الوقائى والفكرة السياسية ذات القصد اللاعدوانى فان العمل الوقائى اصبح حقا من الحقوق التى يملكها الشعب ولا يتخلى عنها • لان التأكيد جرى على حقيقة القيام به فى حالة تلقى معلومات استخبارية موثوق بها تفيد ان هجوم العدو قد اصبح وشيكا •

من المشكوك به فى اية حال ما اذا كان بالوسع تحقيق حماية تامة بالتدمير الوقائى لموارد العدو النووية (١) وفى حالة حرب يكون ضروريا انجاز هذه السياسة لكننا لا يمكننا ان نتوقع منها اكثر من نتائج جزئية ، لذلك فالاساليب الاخرى للحماية تعتبر اساسية •

٢ - وسرعان ما اصبح واضحا ان تصدى الاسلحة النووية اثناء مرورها قد يكون العامل الرئيسى فى السوق الجديد • فاذا استطعنا تطوير منظومة تصد مؤثرة فسوف لن تدعو الحاجة الى عمل وقائي • ولا الى حماية بدنية « وقد كان ذلك خطرا سياسيا » وعليه فان تهديد العدو لنا بالثأر سيفقد تأثيره •

هذا حل مثالى على كل حال ، ومن وجهة النظر الفنية فان التوصل اليه وادامته بمستوى الكفاءة الوافى عسير جدا • ان سباقا فنيا هائلا مستمر بين التصدى والاختراق • وفى كل مرة تحرز المقدرة على التصدى تقدما ما ، يقابلها تقدم جديد فى المقدرة على الاختراق وهكذا يظهر نوع جديد من« السوق فى وقت السلم » ، السوق الذى لايمكن لعبارة سباق التسلح التى كانت تستعمل

(١) تظهر هذه النتيجة وكأنها لامفر منها وخصوصا بوجود الغواصات النوويه • انها لم تلغ النظرية القائلة بان الافضل اعلان القوة المضادة كنهج ، اكثر من التعبية المضادة للمدن ، وسنبحث هذه النقطة ثانية عند بحث الثار والانتقام • - المؤلف -

قبل نشوب النزاعات الكبيرة القديمة الا ان تكون صورة باهتة لما هو واقع فعلا .

لا معارك فى مجال هذا السوق فكل جانب يحاول التفوق على الآخـــر فى مجال اعداد المعدات والتجهيزات وقد اطلق على هذا السوق اسم « سوق التجهيز والادامة » ان تعبيته صناعية وفنية ومالية . انه شـــكل من اشـــكال الابادة غير المباشرة فبدلا من تدمير موارد العدو يكون هدفه جعل هذه الموارد غير مجديـة وبذلك يتحمل العدو نفقات هائلة . ففى خلال معركة بريطانيا تمكن الرادار من احراز اول نصر جوى فى التاريخ غير ان الخطوة الاخرى كانت فى الارتفـاع الشاهق للطائرات مما جعل كل مراكز الرادار ومدافع مقاومة الطائرات غير مجدية ، ومن ثم جعلت القذائف الموجهة من الارض الى الارض ، والتى لايمكن التصدى لها ، كل الطائرات غير مجدية طالما كانت مرتبطة بقواعد ثابتة وواهنة ، وبالوقت نفسه جعلت القذائف الموجهة من ـ الارض الى الجو ـ التصدى للطائرات الشاهقة الارتفاع ممكنا ثم ظهرت القذائف الموجهة من الجو الى الارض فمكنت الطائرات من مهاجمة اهدافها بينما تبقى هى نفسها خارج مدى قذائف العـــدو الموجهة من الارض الى الجو ، وبالوقت ذاته ايضا بدت مسألة التصدى للقذائف الموجهةمن الارض ممكنة وهكذا ....

لذلك فهناك حرب سلم صامتة وبارزة آخذة بالتقدم لكنها بحـد ذاتهـا يمكن ان تكون حربا حاسمة . ان هذا السباق سوف لا ينتهى ، على ان التصدى المؤثر ـ ولو انه قد تكون له تحسيناته وانتكاساته ـ يبدو وكأنه سيظل مشكلة ذات نظر .

٣ ـ المسألة التالية اذن هى هل بالامكان تقليل تأثير الهجوم النووى عن طريق الحماية البدنية ؟ كان الامر قبل ظهور السلاح الحرارى النووى يبـدو وكأن هناك حلولا ممكنة معينة : مثل الحماية تحت الارض ، التفرق ، قابلية الحركة ، الحماية بالكونكريت ... الخ . ان ايا من هذه الاساليب لايؤمن حماية مطلقة لكنه يحمل بين جنباته امل تقليل تأثير الهجوم النووى الى درجة ملحوظة والآن

وقد ظهر السلاح الحراري النووي ، وعلى الرغم من ان الحماية لها قيمتهـــا النسبية ، فان قوة الهجوم ازدادت الى درجة بحيث يصعب معهـا الاحتفاظ بامـل الحصول على الحماية البدنية ، وبجانب ذلك فان النفقات المصروفة ستكون كبيرة جدا الى حد وصولها ارقاما فلكية • لذا استنتج الكثيرون بان كل الجهود يجب ان تكرس لتطوير الاسلحة التعرضية وتطوير طاقتها على التوغل والاختراق •

٤ ـ الواقع هو ان تأثير كل هذه الاساليب الدفاعية قابل للتغير ومشكوك به وان الحماية الصائبة الوحيدة تكمن فى « التهديد بالنار » لهذا السبب فلابد من وجود « قوة ضاربة » او بالاحرى (قوة تعرضية افضل) قوية وكفوءة تمنع العدو من استعمال قوته الضاربة • وهذا هو الشكل الاول والبسيط للسوق الرادع حيث ان الغاية منه فرض تاثير مباشر على قوة ارادة العدو دون ضرورة لتجربة القوة للوصول لذلك• هذه هي الفكرة العامة عن قاعدة السوق المتطورة الآن ، انها آخذة بالتغير لتصبح اكثر تعقيدا واكثر دقة •

الســـوق الـــرادع

أ ـ الرادع النووى

ان اساس الردع هو العامل المادى لذا فمن الضرورى وجود طاقة تدميرية هائلة ودرجة عالية من الدقة وقدرة كافية للاختراق ، وعندما بحثنا مسألة الحماية بالتصدى لمسنا اهمية الكفاح المستمر للحفاظ على طاقة اختراقية كافيـة • ولكن مادامت الحرب لم تشن فعلا فان المستويات المضبوطة نسبيا للتصدى والاختراق تظل مسألة تخمينية ، والامر كذلك بالنسبة لقدرة العدو على التصدى • وهـذا يفسر لنا سبب كون طيران طائرات (يوتو) بهذا القدر من الاهمية ، حيث انها مكنت من تقدير طاقة العدو على التصدى وهو بنفس القدر يفسر لنا سبب شـدة استنكار الاتحاد السوفياتى عندما عرف بالتجارب التى يقوم بها خصمه •

هناك اذن شكوك تحيط بهذا العامل المادي ، على ان الموقف يتعقد اكثر عند احدنا بفرضيات متعددة مثل اي الخصمين سيطلق الطلقة الاولى • لم يكن هذا العامل مهما جدا ايام كانت الطائرات بطيئة السرعة لان زمن الانذار كان من النوع الذي يجعل كلا من الهجوم والهجوم الثأري يتفاوتان الواحد والآخر في الجو • اما قد توفرت الصواريخ فان تأثير الرادع سيكون لاشيء ان كانت الطاقة التدميرية لضربة العدو الاولى من الجسامة بحيث تؤثر على ردنا عليها بصورة ملحوظة • وعليه فتأثير الرادع اذن لا يتوقف على طاقـة القوة الضاربة بل على قوة الخصم المتبقية بعد تلقيه الضربة الاولى ، وبكلمة اخرى على مقدرته على البقاء • ولقد ادى هذا الى تطوير تعبية البقاء المعقدة الباهضة بذات الوقت • ان غاية هذه التعبية :

اولا ـ تخفيض فترة الانذار الى لا شيء (عن طريق الرادار ذو القوة الهائلة ، الاقمار ، المواصلات الذاتية والحاسبات الالكترونية ... الخ)

ثانيا ـ التأكد من ان المعدات الجوية هي في الجو وان القذائف قد اطلقت قبل وصول الضربة (يكون الانذار بمعدات محمولة جوا او بالاخبار قبل خمسة عشر دقيقة او بالصواريخ ذات الوقود الجاف) •

ثالثا ـ حماية ارصفة الاطلاق اما بواسطة قابلية الحركة (الغواصات الذرية) او بالتفرق او بالكونكريت مستهدفين اجبار العدو على بذل عدد هائل من القذائف لكل هدف • ان شكل ميزان النتائج منذ الضربة المعادية الاولى وردنا الثأري عليها يعتمد على الكفاءة النسبية لتعبية البقاء لدى كل جانب ، وعلى الكفاءة المقدرة لتعبية التصدي وعلى تشخيص دقة الهجوم ، وعليه ستكون النتيجة النهائية والحالة هذه مسألة تخمين •

وبمقارنة ذلك بالعامل النفسي الاكثر اهمية والعديم الوزن بحيث يصعب تحديد اثره فان كل ذلك بسيط بساطة نظرية هندسية • ان الغاية هي فرض اثر على تفكير العدو بحيث نمنعه من استخدام قوة الضرب الخاصة به • اذن

ينبغي علينا اولا ان نمتلك طاقة تدميرية لارهابه ، كما ينبغي علينـــا ثانيا ان ندفعه للاعتقاد باننا قادرون في اى ظرف من الظروف على شن هجوم ثأرى كرد فعل لهجومه او كضربة اولى من قبلنا •

لقد كانت هناك تقديرات واسعة التشعب عن ماهية الطاقة التدميرية من وجهة نظر نفسية • اذ يعتقد بعض الناس ، بالاستناد الى سابقتي هيروشيمـــا وناغازاكي ، ان تدمير بضع مدن رئيسة يكفي لحمل اية حكومة عصرية عـــلى الاستسلام • ويذهب آخرون الى ابعد من ذلك ، فيقدرون القسم الذى ينبغي تدميره من الطاقة الاقتصادية للعدو ليتكبد خسارة فادحة وبذا يعاني هبوطـــا في الطاقة يعرقل قدراته بصورة مستديمة •

ويعتقد بعض الامريكيين النظريين بان تدمير اسلحة العدو النووية هـــو الطريقة الفعالة الوحيدة لانها تؤدي لنزع سلاح العدو وذلك فمن الضرورى ان تكون القوة المدمرة جسيمة لتتيح شن قتال راقي التطور ضد بطريات العدو بحيث سيزداد تأثيره بفعل انفاق العدو مدخراته من الاسلحة لمهاجمة نقـــاط اطلاقنا • ان هـــذه الاراء المتباينة يمكن تلخيصها في مبدئين تعبويين متناقضـــين يعرفان بتعبية القوة المضادة ، وتعبية المدن المضادة • ان الخيار بين هذين الحلين للمشكلة صعب جدا ، وكما رأينا فان تعبية القوة المضادة ستكون فعالة جـــدا اذا تأكدنا ان بلوغها الغاية سيكون مائة في المائة تقريبا • على انه بغض النظـــر عن حقيقة كونها باهضة جدا فان تقدير نتائجها سيكون اصعب فاصعب كلما تحسنت تعبية البقاء • اذن فهناك رغبة للالتجاء الى تعبية المدن المضادة التي ستكون ادارة حركاتها اسهل وارخص وقد سميت « سوق الرادع الادنى » لذا اصبح واضحا باننا اذا لم نهاجم وبالتالي لم ندمر قوة العدو الضاربة الرئيسة فسنكون تحت رحمة عقاب رهيب لكل ضربة مدمرة نقوم بها • وباستمرار تبادل الضـــربات المدمرة فاننا نقترب اكثر فاكثر من حالة التدمير المتبادل الشامل ، وقد يكـــون الميزان في غير صالحنا الامر الذي يعني ان الاسلوب جميعـــه عديم الجدوى • وسيكون واضحا اننا ردعنا العدو على الاقل بنفس التأثير الذى ردعنا بـــه

وبجانب ذلك فمن الواضح انعدام وجود ميزان مضبوط لقياس اثر الردع وعلى سبيل المثال فان الولايات المتحدة تتأثر عند تدمير مدنها الرئيسة اكثر من تأثر الاتحاد السوفياتي . وهذا يفسر سبب تفضيل الامريكان لتعبية « القوة المضادة » والسوفيت لتعبية المدن المضادة ان الخيار بين هذين النوعين من التعبية يزيح الستار عن دوافع هامة لكنها غير معترف بها . ان الذى يقوم بلعبة « المدن المضادة » عليه ان يؤمن بالصلاحية المطلقة لقوته الرادعة فاذا لم تكن قوته رادعة فعلا واعلنت الحرب فانه سوف لن يحصل الا على انتحار متبادل .

اما الذي يعد لدور ال « قوة مضادة فعليه ان تكون له شكوك معينة عن صلاحية قوته الرادعة طالما هو معترف بامكان وقوع الحرب النووية مقرونة قليلا او كثيرا بالاستخدام التام للقوى السوقية الضاربة وهى حقيقة تزيد بعضها من قدرته على الردع . ليس القوى النووية التى تأتى فى المرتبة الثانية (بريطانيا العظمى ، فرنسا ، وقريبا الصين) الخيار فى نوع التعبية حيث انها لا امل لها بامتلاك القوات الضرورية لتنفيذ تعبية القوة المضادة . ان السؤال المناسب هو الى اى مدى باستخدام تعبية المدن المضادة من قبل قوى المرتبة الثانية ، وهي على نطاق محدد بحكم الضرورة ، تستطيع هذه القوى ردع او بكلمة اخرى شل واحدة من القوتين الكبيرتين (قوى المرتبة الاولى) وفى هذه الحالة ولتباين الطاقة التدميرية للجانبين فان بالوسع استعادة التوازن فقط بشكل آخر من اشكال الضغط المعنوي خوفا من ان تضع احدى هذه القوى على الرغم من ضعفها ، قوتها الثأرية قيد العمل .

ان اول خطوة خلال هذه الحركة التأكد من ان طاقة الضرب هي على اساس معقول صائب ونتيجة لذلك تعطي انطباع وجود جو من الصدق في نية استخدامها ويعرف هذا « بالتصديق » ان التصديق لا يعتمد فقط على التوازن المادي بين الجانبين ، وقد بحثناه آنفا والذى سيتصور كل جانب انه في صالحه ، بل يعتمد ايضا على عظمة المخاطرة بمقارنتها مع القضية موضع

الخلاف • فان كان على السويد مثلا الدفاع عن استقلالها فالخطر عليها في حالتها هذه سيكون لاحد له بينما ستكون الفوائد التي يحصل عليها الاتحاد السوفياتي من غزو السويد محدودة •

وان انتحرت السويد ـ عند تحرشها بقوة كبرى كالاتحاد السوفياتي ـ فان شأنها كشأن قبطان سفينة يفضل نسف نفسه وسفينته على الاستسلام للقراصنة • ان الخسارة التي سيتكبدها الاتحاد السوفياتي ستكون غير متناسبة مع اية غنيمة تكسبها السويد • هذا هو التبرير المنطقي للرادع الوطني الصغير • انها لعبة خطرة حقا تستلزم درجة معينة من الثقة بالرادع • وان امكن اقناع العدو باننا قد وجدنا ان من المجدى لنا فى ظروف معينة استخدام قواتنا الرادعة فهناك احتمال اكبر بحصول الاعتقاد لدى الخصم باننا جادون في تهديدنا باستخدام هذه القوى • وجدير بالملاحظة ان بوسع الجانبين على حد سواء اظهار مثل هذا التهديد وان رادعين مصدقين متماثلين امر له نفس الخطورة والاهمية ، لان كلا منهما يميل الى ابطال اثر قوة الآخر •

وعند هذه النقطة يبرز عامل آخر يلعب دوره فى رفع مستوى الضغط وهو العمل الاحمق ، فاذا كنت تتعامل مع معتوه لذا ينبغي لك ان لا تفرط فى دفعه نحو الزاوية ومحاصرته • ان صلابة (دالس) واستشاطة (خروشيف) غضبا ضاربا المنضدة بحذائه وعناد (ديغول) المتعجرف كل ذلك جزء من هذه اللعبة النفسية • وقد يكون ذلك عاملا اهم من كل التقديرات المستندة على الاعتبارات المادية • ان المسألة هي ان العامل الحاسم حقا هو الرغبة في ارخاء حبل الاضطراب السياسي ، والاهم من اى شيء آخر هو جعل الآخرين يؤمنون بانك تملك هذه الرغبة • والكل سيحاولون الخداع لكن الى اي حد يمضون بذلك ، كل هذا يزيد من الممارسة الدقيقة غير المألوفة في الجدال • ان ما علينا ان نقوم به هو احصاء ردود فعل العدو المحتملة المستندة على تقديرنا لطاقاته وتصميمه على استخدام هذه الطاقات وكذلك تقدير تخمينه (العدو) على استخدامها ، وعلينا مراعاة تخمينه لتخميناتنا التي

وضعناها بشأن طاقاته وتصميمه على استخدامها • ان التخمينات التي من الضروري ان تكون ظنية والفرضيات والتقديرات لتي تستند على البديهة اكثر من استنادها على التعقل تراكم بالتالي الواحدة فوق الاخرى ليبرز منها جميعا عامل معين واحد هو في الحقيقة عامل الشك • ان العامل الاساسي للردع في التحليل الاخير هو الشك وعليه ينبغي ان يكون الشك هدف سكل خاص من اشكال التعبية غايته زيادة الشك وادامته على الاقل • ان ترتيباتنا على الارض ينبغي ان تكون بحيث تكشف عن امكانيات متعددة وينبغي ان تكون هذه الحقيقة معروفة لدى العدو • ان ما ينبغي لنا في هذه الحالة اشاعة الشك في اى شيء يمكن العدو من معرفة مقاصدنا الحقيقية • ومن الجلي انه يجب الا يقدم على عمل او يقال شيء خليق به ابعاد احد الافتراضات التى كونها العدو عنا والتي قد تجعله يقف منها مذعورا وعلى سبيل المثال فالحملات لابطال الاسلحة الذرية التعبوية تسلك سبيلا مغايرا لقواعد السوق الرادع • ويمكن تطبيق الشيء ذاته على البيانات الامريكية بخصوص (التخلف القذائفي) وغض النظر عن سوق الثار العنيف •

ب ـ الاشكال المتممة للرادع

لذلك فالامكانيات المتوفرة الان بالاضافة الى عامل الشك تكون مستوى معينا للمناعة ، وبما ان كلا الجانبين الان يملكان الاسلحة النووية على اية حال، فان الرادع النووي لم يعد فعالا بصورة مطلقة وهذا يؤدى بنا الى القول بان هناك منطقة لايكون فيها الرادع مؤثرا ، اى ان كل جانب لا يزال يتمتع بحرية معينة تتمثل في جميع ما في العمل من مدى ، ابتداء بمخاطرات صغرى خلال العمل على السطح الخارجي للاحداث وانتهاء بحرب محدودة ، ان المقياس في كل حالة هو ان موضع الخلاف يجب ان يكون اصغر من ان يبرر التهديد بالثأر النووى • ان هذه الاعمال شأنها شأن معظم الامور ، يجب ان تبقى تخمينا الى درجة كبيرة ، ولكن نتيجة كل ذلك هو فتح منطقة جديدة

في نطاق سوق الرادع هدفها استعمال اساليب اخرى للصمود بوجه التأثير الرادع للتهديد بالاسلحة النووية والغاية من ذلك تقليص حرية العمل للعدو وابطالها ان امكن • هناك اسلوبان لتحقيق التأثير الرادع • الاول صلد متين ويتضمن مواجهة العدو بقوى عسكرية تكفي لدحر اية عملية يقوم بها ضمن منطقة حرية العمل التي يعتقد انه يمتلكها • وهذا اساس قوى الوقاية اي القوات التعبوية البحرية والجوية والبرية المدافعة عن مناطق واهنة وهو السبب ايضا لادامة الاحتياطي السيار ليكون قادرا على الحركة نحو المناطق المهددة •

ان وجود هذه القوى على الارض يحررنا من ورطة (كل شيء او لا شيء) المشهورة وعلى سبيل المثال ، يحررنا من ضرورة الاختيار بين الاقدام على مجزرة بشرية او الرضوخ للامر الواقع •

اما الاسلوب الثاني فهو نفسي ويتضمن خلق وادامة تهديد بالثأر في حالة خصام محلي • ان هذا التهديد بالتصعيد في اساليب معالجة النزاع يعني بان اهمية القضية موضع الخلاف يشوبها الشك وعدم الثبات مرة اخرى رغم انها قد تبدو طفيفة مبدئيا •

ان وجود الاسلحة الذرية التعبوية والحالة هذه مع كل مجازفات التصعيد التي يتضمنها استخدامها ، يلعب دورا هاما في السوق الرادع • ويعتبر الكثيرون هذه المخاطرة بالتصعيد امرا خطرا والامر كذلك ان لم يكن الرادع فعالا ومن جهة اخرى فانه كجزء من السوق الرادع يعتبر عامل امن اضافيا ومثل هذا الامر ينبغي ان لا ينسى •

ان هذا الحقل من السوق المتمم لحقل سوق الرادع النووي ، يزداد اهمية كلما ابطل الرادع النووي ـ لدولة ما ـ نده المقابل لدى خصوم تلك الدولة • ان الثار الذري سيتناقص تصديقه والثقة به وسينعدم التصديق بالنسبة للتهديد بالتصعيد • ان سوق الرادع بكل نفقاته الكثيرة لا يقوى على عمل افضل من ايصال اصحابه الى مأزق اننا في الواقع ميالون بعض الشيء للرجوع

الى السوق اللانووى الذى يتضمن (وجود جهد فى حقل التجهيزات التقليدية) بجانب الجهد المبذول فى الحقل النووى - كما لو لم يكن السلاح النووى موجودا - وهذا هو الاتجاه الراهن للقوى الضاربة • او الاتجاه الذي سيكون لها وهو درجة ملحوظة من القدرة على البقاء •

ان هذا لا يعني على كل حال ان علينا الرجوع رأسا للبداية او بتعبير آخر الرجوع الى حال مماثلة لما وصلنا اليه قبل ظهور الاسلحة النووية • ان الحقيقة المجردة بان الاسلحة النووية موجودة تعني بان المخاطرة ستبقى ، وان عظمتها في الاعتماد بصورة رئيسة على عوامل الشك والعمل اللاعقلي التي بحثناها آنفا • وما دامت هذه العوامل تفرض بعض التأثير فليس من المعقول على سبيل المثال وقوع حرب تقليدية اخرى كبرى على مستويات سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٥ طالما كنا غير واثقين ان تصعيد الحرب سوف لن يتم فى هذه الظروف • لذلك فالقوات التقليدية ، رغم صغر حجمها ، حرى بها ان تترك تاثيرا رادعا ، ان حجم القوة التى من الضرورى ان تستخدم والمخاطر التى من الضرورى القيام بها لدحر هذه القوى ستؤدى الى موقف من الخطورة بحيث يكون هناك امل ضئيل فى اجتناب التصعيد • وعليه يبدو ، كذلك ، كما لو ان نظاما رادعا كاملا تقريبا موجود الان على الاغلب ، وان القوى الضاربة ستتوازن مع بعضها البعض وسيكون ذلك بمثابة رادع ضد الصراع النووي •

ان القوات التقليدية هي بمثابة رادع ضد حرب محدودة ، طالما ستكون مخاطرة التصعيد الراهنة رادعا ضد الاقدام على حرب محدودة لأي موضع خلاف خطير • ان تأثير هذه الانواع الثلاثة من الحركات يعتمد الى درجة كبيرة على عامل الشك وعدم الثبات غير انها تكمل بعضها البعض وتلتحم فى نظام رادع موحد لتجعل التوازن الشامل ممكنا •

وحتى فى هذا الموقف • كما اظهرت التجربة بوضوح ، فستبقى منطقة معينة لحرية العمل ، منطقة صغيرة لكنها مهمة • انها المنطقة المستثمرة من قبل السوق غير المباشر للاتحاد السوفياتي على لوحة الشطرنج العالمية • ان

الرادع الذي هو على الاقل من النوع الذي درسناه لا يتمكن من منع العمل فى الحقل السياسي والاقتصادي او استغلال الحركات الثورية فى الاقطار الاجنبية او حتى الحرب التي تدار بالتفويض[1] • ونتيجة للفكرة المنطقية فقد نجحنا فى تكوين رادع تقليدي مكمل للرادع النووى وينبغي اتباع العملية نفسها لتكوين نظام رادع فى الحقل غير المباشر •

لقد حاول الغرب ، ولا يزال ، ايجاد حل مؤثر لكنه لم يجد هذا الحل لحد الان ، لانه لم يدرك المشكلة حقا • ان هذا الموضوع هام جدا ، لكنه من التعقيد بحيث لايمكن تلخيصه هنا وسنبحثه بصورة منفصلة • ومن الواضح ان اى شق صغير فى النظام الرادع يفسح المجال لامكانات العدو الذكي للعمل ، الامر الذي قد يجلب الخطر لنظام الامن الغربي برمته •

السوق في الحرب

مهما بذلنا الجهد كي نردع الخصم فأننا لسنا واثقين ان الحرب سوف لا تندلع وخاصة من وجهة نظر عوامل الشك والعمل اللاعقلي الذى اكدناه سالفا • قد يكون مقبولا انه ما لم يصب المرء بالجنون (وهو امر ليس ببعيد ـ حيث لم يمض على هتلر زمن طويل ـ) ، فهنالك احتمال اندلاع الحرب فقط نتيجة لسوء التقدير وبتعبير آخر يجب ان يكون احد الجانبين قد كون لنفسه احصاء مفرطا فى التفاؤل لردود فعل العدو المحتملة ، وقد يعتقد بعضهم ان بامكانه فعل شيء ما مستغلا مباغتة ما ثم يكتشف انه في الحقيقة لم يفعل غير اطلاق عقال الكارثة • في هذه الحال ما الذى ينبغي ان يكون عليه السوق فى العصر النووى •• ؟

(١) حرب تدار بالتفويض ـ او بالنيابة ـ حرب تنشب بين دولتين وتستغلها احدى القوى الكبرى لحسابها فتغذيها حسب ماتقتضيه مصالحها وقد يطول امد هذه الحرب اذا ما لقي كل من الجانبين المتخاصمين من يستغله لمصالحه ويغذيه باحتياجاته لادامة تلك الحرب • ـ المترجم ـ

عدما كان السوق يستند بصورة رئيسة على مبدأ النار العنيف مبدئيا فان سوق الحرب وسوق الرادع كانا نفس الشيء ، اذ لابد في الغالب من وضع الخطة النارية المنظمة للردع موضع التنفيذ والنتيجة تخريب هائل لدى الطرفين • ان احد الجانبين (ولنفترض انه العدو) سيتوقف عن القتال وصفحة القضاء على العدو ستجرى بما تبقى من الموارد العسكرية وقد دعي هذا بسوق (كسر الظهر) وعليه فان اول صفحة للحرب تمرين هائل كامل التخطيط في التدمير ، وينبغي ان يعقب هذه الصفحة صفحة استثمار الفوز وتفاصيله ، يصعب التكهن بها بسبب عدم معرفة وزن الدمار الذي احدثته المعركة والذي يدعى بكل براءة (التبادل النووي) لقد كان ما ذكرناه نوعا مبسطا جدا وهو اقل ما يقال فيه، لكنه لايزال يتمتع بتأثير كبير على التفكير العسكري، لا لانه اصبح عادة فحسب بل لان كل تمرينات فترة السلم المصممة لاختيار وتحسين نوعية الرادع كانت مركزة حول التبادل النووي ، وان هذا الامر قد دفع الناس للاعتقاد بان شكل الحرب في المستقبل سيكون على هذا النمط •

ليست هذه هي المسألة لحسن الحظ او على الاقل فان هذا النمط افتراضي بحت والفرضية التي ستظفر من اجلها اعلى الاوتاد في بداية اللعبة، ستكون من اضعف الفرضيات احتمال حدوث ، وكلما امسى تهديد الاسلحة النووية للعدو اكثر قوة كلما تبلورت تدريجيا الفكرة الداعية الى ان السوق في الحرب ينبغي ان يختلف عن السوق الرادع • ان غاية السوق الرادع بث الرعب وعليه ينبغي ان يكون واضحا تمتعه بالقدرة على فرض تدمير مفزع بالعدو مع استهداف عدم وجوب استخدام هذه القدرة بالضبط • واذا ما كان التدمير متبادلا فمن الرابح في هذه الحالة •• ؟ ان من سيبدأ بالعمل الذي يؤدي رد فعله الى موته شخصيا ، فانه والحالة هذه سيكون منغمسا في شكل من اشكال (الهاراكيري) • وهذا ليس سوقا وعلى النقيض من ذلك ينبغي علينا ان نعمل كل ما في وسعنا لتجنب هذا الموقف المتطرف • هذا هو التعقل المنطقي ويجب الاعتقاد بانه سيتبع من قبل كلا الجانبين ، لذلك فمن غير المحتمل جدا بان يشرع العدو بالخصام عن طريق

هجوم نووي عنيف ويمكن تبرير مثل هذه السياسة فقط اذا كان الخصـــم يتمتع بمزايا فيه ملحوظة ، لذلك فمن المعقول ان يكون الخصم متأكدا مــــن قدرته على اخراجنا من القتال بالضربة الاولى ـ وانه لامر غير محتمـــل ـ ان تكون القوى الضاربة مالكة القدرة الكافية على البقاء وما دام الامر كذلك فهنالك احتمال اكبر فى ابتداء العدو للعدوان بقتال محدود نوعا ما • وسيكون السؤال عندئذ : ماذا سيكون رد الفعل ؟

من المدهش ان تكون مسألة رد الفعل موضوع نقاش طويل الامـــد • ويبدو ان الحصافة تشير الى ضرورة الاقدام على محاولة لتحديد الصـــراع ، ولقد عارض هذه النظرية اشخاص عديدون مبينين ان اى اعلان يقصـــد تحديد الصراع سيؤدى فقط الى التقليل من قيمة الرادع وان هجوما شـديدا حقيقيا هو الاسلوب الوحيد لمنع العدو من شن هجوم محدود وسواء باسلـوب التلميح او بالتصريح فقد استمر النقاش فى ان التدمير المتحقق عن هجـــوم شديد سيكون بحيث يقلل من رد فعل العدو بصورة ملحوظة وعلى سبيل المثال الى مستوى يمكن تحمله • ان هذا نقاش خطير فى سياق الرادع سابحثـــه فيما بعد • ان العامل الحاسم فى النقاش هو انه قلما اصبح واضحا فى الايـام الاخيرة انه مهما حدث فتأثير رد فعل العدو سيكون فظيعا لذلك كـان الرئيس كندى من مؤيدى المدرسة التى دعت الى الغاء مبدأ رد الفعل بالثأر العنيف • لقد وضع الجنرال ماكسويل تايلور بكل وضوح سوقا جديدا للحرب اطلـق عليه « رد الفعل المرن » ان ســـوق رد الفعل المرن يعني انه من الضـــروري وجود رد فعل مناسب لكل عمل معاد مستخدمين القوة الكافية لدحر العـدو على ان لاتكون هذه القوة اكبر مما يلزم للغرض الذى تستخدم لاجله • وهذا لايعني انعلينا وضع سياق عملنا على غرار العدو (مثلا ان رد الفعل للهجـوم التقليدي قد يكون دفاعا يستخدم اسلحة ذريـة تعبويـة او حتى هجوما نوويـا سوقيا محدودا) ، ان ما يعنيه هو ان كل حالة ستعامل حسب استحقاقهـــا

وان الاضطرار للقيام بالثأر العنيف سيكون آخر المطاف • ان هدف السوق هذا هو انتاج رد فعل مؤثر وبالوقت ذاته ابقاء النزاع محدودا •

ان الظاهرة الاصليه لهذا السوق هو انه يوحد الاعمال العسكرية المحلية مع الرادع الشامل والغايه من ذلك ابقاء النزاع فى حدود معـــروفة • ان احتفاظا بالتهديد بالثـــأر العنيف فى الاحتياط ســـيؤدى الى احتفاظ رادع « فترة السلم » بنسبة كبيرة من صلاحيته • وبما ان تأثير الرادع سيكون متبادلا فان كلا الجانبين سيستهدف ابقاء النزاع محدودا • واذا لم يخل اى جـانب بالقواعد ، واذا كانت القضية (موضوع الخلاف) محددة بكفاية ، فان تجربة القوة ستتقرر فى نقاط او اماكن معينة وسوف لن يكون هناك تصعيد فى النزاع او فى الحرب •

هذه لعبة خطرة ، غير انه ليس لدينا اختيار آخر على ما يبدو • وللاحتفاظ بذلك الامر سليما قدر الامكان فهناك نظام سيطرة متطور للتأكد من ان التصعيد لن يحدث تلقائيا نتيجة للقتال فيالمنطقة فتتحول حادثة محلية الى حرب شاملة•ان النتيجة هى شكل خاص من التعبية ، هو وضع عدد معين من العتبات (الدرجات) المتصاعدة ينبغى ان لا يصعد الواحد احداها دون تخويل سياسى خاص • ومن الضرورى بجانب ذلك ان يكون هناك من الامن ما يكفى للتأكد من عدم اجتياز ايةدرجة ما لم يصدر التخويل بذلك • فالحرب اذن تتخذ شكل سلم مع عـدد من الدرجات (حادث محلي، حرب تقليدية ، استعمال الاسلحة الذرية التعبوية، تعرض سوقي نووى محدود ، تعرض سوقي نووى تام ••• الخ) ان الامـل هو ان اية تجربة للقوة يمكن حال الشروع بها القرار على جعلها ضمـــن احدى الدرجات الواطية فى سلم التصعيد الحربى •

ان هذا السوق يبدو محتما لكن هناك اعتراضين خطيرين له ، يأتـــي الاول بصورة طبيعية من تلك الاقطار التي قد تكون مشهدا لصراع «محدود» •
انهملا يجدون الفكرة لتمثيل دور ميدان المعركةفى ذلكالمشهد ولربماتكون فكرة تمثيل ميدان معركة ذري ـ فكرة جذابـة ـ واذا كانت الكارثة واسـعة

الانتشار عالمية الطابع فان التضحيات التى سيطلب تقديمها ستكون غير عادلة ان سكان منطقة النزاع سيسألون هل بيعت سلامتهم بثمن بخس من اجل المناطق الحيوية التى كان بالوسع استخدامها لاجبار العدو على تفريق جهده • ولقد اشرت قبل قليل الى الاعتراض الثاني ، انه يتعلق بالرادع فاذا ما ارتضينا ان يظل الصراع محدودا افلا يكون ذلك مساو للدعوة الى الشروع بنزاع محدود وبالتالى لتقليل اثر الرادع ، واذا كان ضروريا الشروع بنزاع محدود فهل ستكون اخطار التصعيد اعظم ؟

هناك حقيقة مؤكدة فى كل من هذين الاعتراضين ، وهي ان كليهما موجودان لكن علينا ان لا نفرط فى تقدير قيمتها • صحيح هناك بعض الخلاف بين الاساليب المستخدمة من قبل السوق الرادع « التهديد بالتصعيد » وتلك المستخدمة من قبل السوق الحربى « تحديد النزاع » غير ان المسألتين لا تحدثان بوقت واحد ، ان السوق الرادع نافذ المفعول خلال الفترة التي تسبق السوق الحربى • وبالاضافة فان لكليهما عاملان مشتركان بوجه عام منها ما يتعلق بالشك وباحتمالية العمل اللاعقلي ، اللذين اكدناهما آنفا وهذا يقلل لحد ما من التناقض ما بينهما لان المرء لايمكن ان يتأكد ان التصعيد سوف لن يحدث حتى ولو كان مقصد السوق واضحا فى ابقاء النزاع محدودا • ولذلك يمكن ادامة تأثيرالرادع ، كما ان المناطق المحتفظ بها للقتال لا يمكن ان تلعب بامنها لعبة جر الحبل فى المناطق التى ستجرى فيها المعارك الاولية • ان امن كل المناطق فى الواقع ، والقيمة المستمرة للرادع ترابط باحكام لايفك • وهناك بجانب ذلك اعمال معينة هي بذاتها محدودة الطبيعة يمكن استعمالها لتقوية الارتباط الداخلى ما بين الاثنين واعطائه ما يستحق من اهمية وعلى سبيل المثال : بالامكان الاعلان عن هدف معين معاد نعتبره رهينة لدينا ستدمره قواتنا السوقية اذا ما هاجم العدو هذه المنطقة او تلك من مناطقنا الامامية، وان بالوسع ايضا التصريح بانه لو رد العدو علينا بتعرض سوقي محدود ، فان هذه الاهداف الاضافية المعادية او تلك ستدمر • ان هذا الاستخدام المحدود

للقوى السوقية حسب مقياس تصاعدي هو الاسلوب الذي بواسطته قد تحمل الشعوب التي يمكن ان تكون اراضيها ميدان معركة على الاعتقاد بانها سوف لن تترك لوحدها •

ان هذا المفهوم قابل التحديد للسوق الحربي لا يؤدى على اية حال – ولو ان بعض الناس يعتقد انه ينبغي ان يؤدى – الى وضع سوح الحركات مسبقا فى جانب والملاجيء فى جانب آخر ، وبكلمة اخرى ، الى مناطق لا يؤدى فيها العدوان الى الثأر ، بحيث علينا ان نستعد لقبول نتيجة الصراع ما بين القوات الموجودة فى المنطقة من جهة وما بين المناطق المحمية بالتهديد بالثأر العنيف من جهة اخرى • ان تقسيم الرادع بهذه الطريقة ، بالاستدلال العقلي وعلى اساس جغرافي ، سيؤدى الى تقليل أمن سوح الحركات والى زيادة ملحوظة لخطر التصعيد الماثل دوما لو وقع نزاع استند فيه الى الملاجيء • ان التهديد بثأر ذاتى شديد سوف لن يزيد ، فى الحقيقة من امن الملاجيء (اكثر ما هو عليه الامن فى سوح الحركات) طالما سيؤدى الثأر فى الظروف الراهنة الى رد فعل مدمر للعدو ليس الا ، وعليه سيكون احد الخصمين مقتنعا الى حد ما بانه سيوقع بالعدو دمارا مماثلا تقريبا للدمار الذي قد ينزله العدو به والحقيقة فان الرادع ينبغي ان يكون عمليا سواء فى سوح الحركات ام في الملاجيء او انه فى كلتا الحالتين ينبغي ان يكون متدرجا ، او بتعبير آخر ينبغي له ان يتمتع بالقابلية على رد فعل مرن ولكي نحافظ على بقاء مبدأ الشك وعدم الثبات ، هذا المبدأ الثمين كامل التأثير ينبغى ان لانسهل للعدو تخمينه وتقديره الى حد ما •

يبدو لذلك ان استعمال القوة فى العصر النووى سيتحدد كقاعدة على نوعين من الحرب : فى المناطق الحيوية يجوز ان يكون القتال محدودا وقد يكون شديدا جدا لامد قصير غايته احداث او فرض الامر الواقع على ان تعقبه المفاوضات فورا ، اما فى المناطق الخارجية ، والمجاورة فقد ياخذ النزاع شكل

ابادة مستمرة على مستوى واطىء من التركيز تستخدم فيه اساليب الحرب التقلدية او اساليب حرب العصابات والمثال على الاول (هو الحملة الاسرائيلية على سيناء (وعلى الثاني الحروب في كوريا والهند الصينية ولاوس • ان اى نوع آخر من الحرب سيؤدى حتما الى التصعيد بسرعة • وليس من الامن على كل حال الظن بان التأثير الرادع لوجود الاسلحة النووية كاف لايقاف كل النزاعات المسلحة • ان السنوات العشر الاخيرة برهنت على انه حتى في حالة تمتع الغرب بتفوق نووى ملحوظ فان مثل هذه النزاعات لازالت ممكنة الحدوث • اما الان ومع وجود توازن بين القوات الضاربة لكل جانب ، فقد تكون هناك في المستقبل زيادة ملحوظة في عنف مثل هذه النزعات وفي اهمية القضية موضع الخلاف ، وللتقليل من هذا الاحتمال ينبغي علينا اتخاذ اجراءات كافية لتقوية التأثير الرادع لقواتنا النووية عن طريق قوات دفاعية كافية وعلينا ان نتأكد من ان رادعنا باق على مستوى عال باستخدام تعبية مناسبة لايمكن المبالغة فى اهميتها •

تطور السوق في العصر النووي

لم تكن الفقرات السابقة الا تحليلا حسب نظام منطقى للافكار الرئيسة للسوق فى العصر النووى • انه موضوع معقد ولاجل ان لا ازيده تعقيدا فقد ناقشت انواع مختلفة للتعبية رغم ان لها ارتباط خطير بقضية السوق (مثلا : التصدى ، الاختراق ، البقاء ، سيطرة الاسلحة ، قوات الدرع ، الشك••الخ)

ان احسن طريقة لتكوين فكرة عامة عن القضية وعن تفاعل العوامل المتباينة هو استعراض التطور خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة للصراع بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وقد قسمت هذا التطور ، بصورة مستبدة نوعا ما ، الى اربعة ادوار كل منها يبدأ بتقدم فني من جانب الاتحاد السوفياتي ،

له نتائج سوقية هامة ، حيث تكون النتيجة سوقا متناظرا من الجانب الامريكي بسبب انجاز فني معين •

١ ـ خلال الدور الاول لم يكن الاتحاد السوفياتي قد سرح الجيش حقا بعد الحرب • وكان لايزال يحتفظ بقوات جوية وبرية هائلة • وباتباع سوق الحركات الذي يعتبر عسكريا من جهة وثوريا من جهة اخرى فقد سلك سبيلا جيدا لاسقاط اوربا والسيطرة عليها وفي هذا الدور كانت الطاقة النوويـــة للولايات المتحدة لاتزال في مهدها ومن ثم ردت الولايات المتحدة على هــذا التهديد باتباع السوق الرادع المستند على اعادة بناء اوربا (خطة مارشال) [١] واعادة التسلح التقليدي لاوربا لغرض الدفاع (منظمة حلف شمالى الاطلسي) وخطة لشبونة وبالوقت ذاته شكلت قوة حيوية ضاربة نووية لتعزيز نظام الثأر الواسع النطاق ومنح الاقتصاد الاوربي مساعدة مالية وشحنت السفن التجهيزات الى اوربا كما طورت القنابل الذرية والطائرات التى ستحملها واسست شبكة كاملة للقواعد على محيط اوربا الخارجي معتمدة على نطاق عمل طائرات (ب٣٦) لقد قهر هذا السوق الالة السياسية والعسكرية للاتحاد الســوفياتي • وكان الرادع مؤثرا اذ اوقف الاندفاع السوفياتي صوب اوربا •

٢ ـ خلال الدور الثاني تمكن الاتحاد السوفياتي من الرد باتباع سوق رادع دفاعي مقرون بهجوم مضاد في حقل السوق غير المباشر (كوريا ، الهنـد الصينية) وبما ان الامكانات المادية لم تكن متوفرة مبدئيا فقد كـــان الرادع

(١) خطة مارشال ـ مشروع للمساعدة الامريكية لاوربا الغربية كي تحسن احوالها الاقتصادية منعا لانهيارها وتسلم الشيوعيين زمام الامر فيها • وضع هذا المشروع بعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٧ وهو من اقتراح الجنرال جورج مارشال وزير خارجية امريكا في عهـد ترومان وقـد سـمي باسمه واعتبر ركنا هاما من اركان السياسة الامريكية وفي المشروع شـروط لتقديم المساعدات اهمها اشراف الولايات المتحدة على كيفية صرف الاعتمادات المقدمة للدول طالبة المساعدة وقـد رفض الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية المساهمة في هذا المشـروع • ـ المترجم ـ

سوفياتي نفسيا بشكل رئيس حيث كان الوجه البارز للرادع النفسي • الحملة المضادة للقنبلة النووية » التي تدار بعقد مؤتمرات سلم ، وقد ادى هذا بالحقيقة الى نتائج معينة على الاقل في اوربا • وعلى كل حال وبفضل مجهود علمي وتجسسي لم يسبقه مثيل سرعان ما تمكن الاتحاد السوفياتي من صنع عدد قليل من القنابل الذرية ومن بناء قوة جوية ضاربةلكنها غير متقنة لانه قلد صنع طائرات مماثلة للطائرات (ب٣٦) ولكن دونها في المزايا وبالوقت نفسه رفع من مستوى منظومة دفاعه الجوى باعداد سلسلة من محطات الرادار اما بالنسبة للولايات المتحدة فقد كان ذلك البادرة الاولى للتهديد النووى مع وجود دفاع جوى فعال لذا فقد حافظت الولايات المتحدة على قيمة سوقها الرادع بزيادة التهديد بالثأر وكان ذلك ضروريا لان اعادة تسليح اوربا كان بطيئا وناقصا ، حيث سحبت القوات الفرنسية الى حرب الهند الصينية ، وعلى الرغم من التشكيل المنتظر للقوات المسلحة لالمانيا الغربية ، لذلك وجب ان يدام التهديد الجوى الى مستوى يمكن قوات الدرع كي تكون سلك عثرة للقوى السوقية لا اكثر • وفي تلك اللحظة بالضبط زيدت فعالية قوة الثأر بدرجة ملحوظة بفضل ظهور القنبلة الحرارية النووية ، وعلى الرغم من الدفاع الجوى السوفياتي فقد اديمت المقدرة على الاختراق بفضل تطوير طائرات شاهقة الارتفاع تحلق فوق سقف الرادار وتتميز بمقدرتها على سبق طائرات العدو المقاتلة • وفي السنوات ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ كان التفوق الامريكي لا مثيل له ولم يكن الرادع قد وصل ذروته فحسب بل لقد اجبر السوفيت على ايقاف حملاتهم في الهند الصينية وكوريا والقبول بحلول وسط • والجدير بالملاحظة انه عند هذه النقطة كان باستطاعة الولايات المتحدة ، كما طالب بذلك الجنرال ماك آرثر ، ان تنال من موقفها آنئذ ميزة اعظم •

٣ ـ شرع السوفيت خلال الدور الثالث باللحوق بالامريكان في حقل السوق الرادع • فقد حصلوا على القنبلة الحرارية ـ النووية ايضا ، مع قوة ضاربة ملحوظة وزادوا من كفاءة نظام الدفاع الجوى ولقد مكنهم ذلك من

استئناف هجومهم المعتاد غير المباشر في الشرق الاوسط وشمال افريقيا • ان حقيقة حيازة الاتحاد السوفياتي حينئذ للسلاح الحراري النووي كانت خطرا ملحوظا ادى لاختلاف السوق الامريكي بمواجهته مسالك بديلة متعددة للعمل• كانت هناك اسئلة عديدة هل من الضروري ادامة الرادع بزيادة قدرته على الثأر ؟ وهل من الضروري وضع نظام للدفاع الجوي عن الولايات المتحدة لابطال تهديد العدو ؟وهل بالامكان استعمال التهديد بالانتقام في كل الظروف حتى في حالات الحوادث الثانوية ؟ولو كان الجواب بالنفي فهل من الضروري الالتجاء الى انواع اخرى للرادع وهل من الضروري تقوية قوات الدرع لتفادي الاضطرار للاختيار بين التسليم او رد الفعل الشامل ؟ وهكذا ابتدأت مناقشة عظيمة في سنة ١٩٥٥ انتهت بانهيار مدرسة الفكرة التعرضية التي ارادت ادخال برنامج واسع النطاق للصواريخ التي لايمكن اعتراضها واستقالة الجنرال كافين حامل راية هذا الحل •

وكان القرار اولا : انشاء نظام دفاعي هائل مضاد للطائرات ، يشمل القارة الامريكية برمتها ، ثانيا : قيام الدوائر المختصة بتطوير التعبية المضادة للمباغتة (الطائرات بالانذار ••• الخ) وتطوير قاذفات القنابل القارية المستندة على قواعد في حصن القارة الامريكية والتي ستكون خارج مدى ضربة الاتحاد السوفياتي الاولى ، ثالثا : اعادة تقوية قوات الدرع الاوربية التي لازالت تحتفظ بقوة تقليدية غير كافية مع اسلحة ذرية تعبوية موزعة باعداد كبيرة على اعضاء منظمة حلف شمالي الاطلسي لكنها موضوعة تحت السيطرة الامريكية الصارمة • لقد حقق قرار سنة ١٩٥٥ استقرارا موقتا معينا[1] ولكنه كان محافظا اكثر مما ينبغي كما برهن على انه خطأ توضحت نتائجه بصورة خطيرة خلال الدور التالي •

٤ ـ خلال الدور الرابع نجح الاتحاد السوفياتي بفضل برنامج للصواريخ فاق البرنامج الامريكي واعتقد الامريكان ان هذا البرنامج كان بمستوى

---

(١) لقد مكننا هذا ايقاف السوفيات عن الاندفاع نحو الشرق الاوسط بالعمل الذي اجريناه في الاردن ولبنان سنة ١٩٥٧ • ـ المؤلف ـ

لا حاجة لهم باتباعه • وفي سنة ١٩٥٧ كان الاتحاد السوفياتي يمتلك قذائف عابرة للقارات وكان قد اطلق اول قمر اصطناعي ومن ثم سرعان ما وصل السوفيات القمر وبرهنوا بالتجربة على ان مستوى كل من دقتهم وحصيلة تفجيراتهم كان عاليا • وهكذا كانوا على وشك اللحاق بالامريكان فى حقل السوق الرادع والتفوق عليهم ، ذلك لان النظام الدفاعى الامريكى ، الذى كان قد وضع وكلف الشيء الكثير مؤثر فقط ضد الطائرات ولا يعتبر بمثابة حماية ضد تهديد الصواريخ السوفياتية • وفى الوقت ذاته اعاد الاتحاد السوفياتي تقوية دفاعه الجوى وجهز قواته للقيام بحرب تعرضية حيث زودها باسلحة ذرية تعبوية ذات قدرة على التنقل ويشمل ذلك نسبة كبيرة من العجلات البرمائية مما جعلهم فى مركز يمكنهم من التفوق على السوق الامريكي فى كل المجالات •

كان ذلك موقفا قويا وقد اعيدت تقويته من وجهة النظر النفسية بفعل النتائج الواضحة للاقمار الصناعية (سبوتنيك) ولذلك اعاد الاتحاد السوفياتي اثارة مشكلة برلين ، واضعا قيد البحث مركز المانيا برمته ضمن منظمة حلف شمالي الاطلسى كما تحدى الولايات المتحدة بصورة مباشرة فى الكونغو وكوبا •

ولحسن حظ الولايات المتحدة لم يستطع الاتحاد السوفياتي ان يكون فعالا (برمشة عين) ، فعندما جاء كندى للسلطة فى بداية سنة ١٩٦١ كانت معالجة مسألة التخلف القذائفى لا تزال مرهونة بالمستقبل ولم تكن هناك لحظة تضاع فى هذا السبيل • كان الرئيس محاطا بمدرسة كاملة من ذوى العقول الراجحة، ممن كرسوا جهدا فكريا هائلا لهذه القضايا وخلقوا سوقا متقن الفكرة تطور خلال الدور الثالث ، اى عندما كان سوق الثأر الشامل لا يزال صالحا، وكخطوة اولى ثم غض النظر رسميا عن هذا السوق وكان المزمع اتباع سوق الرادع المتدرج والغاية منه بلوغ توازن فى كل الحقول النووية منها والتقليدية وغير

المباشرة ، واذا كانت الحرب ستقع فان الجهود ستبذل لجعلها محدودة عن طريق رد الفعل المرن والذي ناقشنا نظريته آنفا ، ونتيجة لذلك اصبحت القوة النووية الضاربة جزءا من الدرع (الدفاعي) اكثر من كونها جزءا من السيف (التعرضي) مع ادامة طاقاتها لرد الفعل الشديد الضروري باي حال من الاحوال • ومراعاة لذلك طورت صواريخ مثل بولاريس ومينيت مان التي كانت لحسن الحظ موضوعة قيد الدرس خلال الدور السابق وتم تبني تعبية البقاء (غواصات ذرية ، منعات كونكريتية ، دكاك اطلاق متحركة ••• الخ) للتاكد من ان منظومة ارسال القنبلة سوف لن تدمر بالضربة المعادية الاولى • اما في الحقل التقليدي فان الخطوة الرئيسة كانت تتطلب من حلفاء منظمة حلف شمالي الاطلسي تقوية قوات الدرع التعبوية التي اصبحت الان عنصرا اساسيا في السوق • ولمواجهة التهديد غير المباشر فقد شكل احتياطي من قوات تقليدية منقولة جوا • واخيرا لمنع التصعيد الذاتي فى حالة الحرب فقد طورت تعبية فعالة اخرى للسيطرة على الاسلحة النووية وبذلت جهود للاشارة الى اساليب الاتحاد السوفياتي (الذي تظاهر بعدم الفهم) التي تجعل الصراع محدودا • ان اعادة التكيف هذه جاءت بالوقت المناسب لسد فجوة التخلف القذائفي التي ظهر انها على وشك الحدوث وبالوقت ذاته برهن ذلك على ان ميزة الاتحاد السوفياتي فى حقل الصواريخ لم تكن كبيرة بحيث يخشى منها • لقد اجمعت مصادر الاستخبارات برمتها على ان قوة الاتحاد السوفياتي القارية الضاربة كانت لاتزال ذات طاقة محدودة تكفي فقط لتعبية المدن المضادة وليس لتعبية القوة المضادة ، وقد بذلت الولايات المتحدة جهدا ملحوظا وبدت مرة اخرى فى مركز من التفوق واضح فى هذه المرة شعر فيه السيد (ماك نامارا) بقدرته على وضع فكرته السوقية المتعلقة بالرادع المتدرج المستند على رد الفعل المرن •

وعند هذا الحد حاول الاتحاد السوفياتي بدوره ان يجسر الفجوة القذائفية لديه باقامة قذائف متوسطة المدى في كوبا وكان ذلك خليقا ان يمكن السوفيات من تطبيق تعبية القوة المضادة ضد الولايات المتحدة وقد عرض هذا

طائرات القوة الجوية السوقية الى خطر كبير • وهو امر كانوا يستطيعون الوصول اليه خلال اشهر قليلة باستعمال القذائف المتوسطة الموجودة في كوبا فقط وبدون ذلك لم يكن يتاح لهم التوصل لمثل هذا الوضع الا بعد بضع سنين باستعمال القذائف القارية وكانت تلك مجازفة خطرة للسوفيات لكونهم فى حالة نقص محلي من جهة ولان كوبا ضمن مدى الغزو السهل من قبل الامريكان • ويبدو ان السوفيات كانوا مخدوعين بالحملة الدعائية التى اظهرت عزمهم على الاقتصار على اقامة مراكز دفاعية في كوبا فقط • وعلى كل حال ادرك الامريكان الخطر في الوقت الملائم وكان رد فعلهم ثابتا وفوريا ولكن بصورة مكبوتة • وبما ان الاتحاد السوفياتي في حالة نقص وعدم تفوق فقد كان عليه الخضوع • وكان ذلك اول نزال بالاسلحة في حرب يكمن فيها خطر الرادع النووى ، وقد اديرت من قبل كلا الجانبين بدقة وواقعية فادت الى نجاح الامريكان ومن هذه النقطة كان على الاتحاد السوفياتي ان يتنافس لموازاة الخطوة الواسعة التي خطاها التسلح الامريكي السريع مع المجازفة بشل حركة اقتصاده الاقل قوة من اقتصاد غريمه الغني •

(٥) هناك على كل حال دلائل على الدور الخامس فالاتحاد السوفياتي لا يزال متفوقا في فن الفضاء وقد يؤدى ذلك الى انتاج نوع جديد من الاسلحة ومن المستحيل ان نعرف الى اين سيؤدى بنا ذلك فان السياسة النووية المستندة على مبدأ احراز سلاح اعظم مما لدى الخصم قد تغير توازن المنظومة الامريكية فى احراز عدد اكبر من الاسلحة الصغرى وهى سياسة ستكلف اكثر ويتطور فن الفضاء وانتاج القنبلة النيوترونية نلمس تطورا آخر فى مجال السوق الرادع وبالوقت ذاته فهناك مدرسة فكرية اخرى يمثلها كيسنغر [١] بصورة رئيسية تؤكد ضرورة استباق فكرة السوق الرادع لفكرة تقوية قوة الدرع الدفاعى ،

(١) كيسنغر – استاذ جامعي في الولايات المتحدة يعتبره الامريكان من فلاسفة السوق الامريكي

(المترجم)

ومضمون النظرية هذه انه طالما كانت الاخطار الملازمة للحرب النووية السوقية غير مقبولة فعلينا الرجوع الى رادع يستند على الحماية المباشرة للمنطقة المهددة ستخدم فيه الاسلحة الذرية التعبوية ان كان ذلك ضروريا • تمثل هـذه الفكرة عودة من السوق الجوى الى السوق البرى الاكثر تقليدية وفي هذا دون شك عنصر ملحوظ من الحقيقة • واذا برهن ذلك على فعاليته فانه سيؤدى الى حـد بعيد لتكوين بعض الاستقرار العسكرى في العالم •

ومن هذا العرض السريع للتطور انبثقت افكار معينة خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة •

ففى البداية كان كل موقف يتم التوصل اليه يكون غير ثابت بشكل ملحوظ وان اى منظومة دفاعية قد تطورت من اساس دفاعى وقتي • لقد اخذ كل من التجهيز والتعبية بالاضمحلال وعدم اللياقةبعد مرورخمس سنوات عليهماوهذا اقل من العمر الذى عاشتاه دون تبدل خلال فترة مابين الحربين • ان المبرر لهذا الاسراف في الثروة بسبب التطور المستمر للاسلحة والتجهيزات يقل عندما ندرس مسألة الشك في قيمة ما تقدمه هذه التجهيزات والاسلحة من أمن والنتيجة ستكون يوما ما افلاسا اقتصاديا او اتفاقية ما لتحديد التسلح ، وان السلم لا يمكن الاحتفاظ به الى الابد مع هذا المستوى من التوتر •

اما الملاحظة الهامة الاخرى فهي انه على الرغم من ان الاتحاد السوفياتي قد نجح على الاغلب في تسلق سلم الرادع بفضل مهارته الباهرة في حقـل الطاقة • فالسبب هو ان الولايات المتحـدة حينما كانت ذات مزية ملحوظة (خلال الدور الاول وحتي في الدور الثاني) عجزت مرتين عن اسـتغلال مزيتها كاملة ، وهذا يرينا انه على الرغم من تقارب المنافسة فليس ضروريا فرض العقاب الفورى على الاخطاء ، وقد يلعب الاتحاد السوفياتي لعبة اكثر عنفـا من الامريكان ، غير ان وجود الشجاعة الكافية لهما للانتفاع الكبير من المزايا تبدو غير محتملة ما لم تكون واضحة انها ذات قيمة دائمة • ان السبب العظيم لهذا الحذر هو عامل الشك الذى لايعلم معه احد اين يقف بالضبط •

وبالرغم من عدم وجود اجراء رئيس فى هذا الصراع المستمر فمـــن الواضح انه منذ بداية الدور الثالث فقد تحرك التخطيط العام للطاقة الرادعة صالح الاتحاد السوفياتي • لقد كان سوق الثأر الشامل سوقا تعرضيا ، امـــا سوق الرادع المتدرج فهو دفاعي لم يظهر مفعوله ضد السوق السوفياتي غير امباشر لحد الان •

وبقدر ما يتعلق الامر بآلية السوق، فان تطور هذا الدور يبين بجلاء مدى تقارب العلاقة بين التجهيزات الجديدة والامكانات التعبوية الجديدة الناتجة والتى ستؤدي بدورها الى تغيير فى الميزان السوقي ، وعندئذ تبدأ عملية معاكســة ، فلاجل اعادة تأسيس الميزان السـوقي يجب القيام باختبار ســـوقي (كما في سنـة ١٩٥٥ مثلا) وستكون النتيجة ان التعبية المرغـوب باستخدامها تعـرف (التصدى ، الاختـراق ، البقـاء ••• الـخ)ومن هذا ستنبثق التجهيـزات الجديدة التي ينبغي ان تطور (الرادار ، الصواريخ ، الغواصات ••• الخ) لقد رأى بعض الكتاب مثل روكيرون بان السوق القائم الان هو ســـوق الموارد وهذا صحيح الى حد ان المرء يجب عليه ان يملك الموارد الضرورية للسوق المنشود ، وهذا لا يعني على كل حال ان التجهيزات والمعدات الجديدة يجب ان تحكم السوق • بل على العكس فان على المخترعين ان يعملوا حسب المتطلبات السوقية او على الاقل فان السوق هو الذى ينبغى ان يختار من بين المخترعات المتاحة له مايسد متطلباته وقد تأتي ظروف يكون احد الجانبين خلالها مفتقـرا الى الموارد الضرورية (كما في حالة الاتحاد السـوفياتي عندما لم تكن لديـه قوة نووية) ، وفي تلك الحالة فمن الواجب على السوق ان يجد ما هو صائب (مثلا : العملية النفسية لمؤتمرات السلم) وان يختار مسلكا للعمل قادرا على دحر سوق العدو ، على ان يستخدم الموارد المتيسرة • انها مسألة ذكاء وتصور •

استنتاجات عن الســوق النووى

يتضح لدينا ان عددا كبيرا من النتائج المتباينة يمكن تلخيصها من ايــة دراسة للسوق فى العصر النووى وسوف لن اقوم الا بذكر المهم منها •

١ ـ من المحتم ان يدار السوق النووى على مستوى السوق الشامل ، ان فيه الكثير من علم النفس ، المال • والاقتصاد بحيث لايمكن ان يكون اى شيء آخر • انه اذن شكل ذو اختصاص او الشكل الحديث ، ان شئت ، للسوق الشامل فى المرتبة المباشرة •

ان اى سوق ناجح يكون شاملا حتى لو ظهر وكأنه بصورة رئيسة طرز من طراز الحركات فى الميدان كما هو لدى الاسكندر او نابليون • الا ان صيت المعارك الشهيرة غالبا ما حجب حقيقة انها خدعت حتى المؤرخين الى حد ما • لم يولد السلاح النووي اية معركة لحد الان ، ان ما فعله هو اجبارنا على ادراك الى اى مدى من الشمول يجب ان يكون عليه فن السوق وكم هى قوة التأثير الذى تعطيه العوامل المتباينة ، ان السوق الشامل لم يعد شيئا يمكن التسليم باقتصار ادارته على رؤساء الحكومات بل يجب ان يكون هذا السوق عملية تفكير على كل قائد اتقانها • وكانت كوبا خير مثال على ذلك •

٢ ـ ان السوق الشامل للعصر النووى قد طرد الافكار السوقية للقرن التاسع عشر ، خاصة تلك المتعلقة بمدرسة كلوزفيتز التى اظهرت تأثيرا مؤذيا بفعل سوء فهم تعاليم استاذها ، وأمر مثل هذا لا يؤدى الا للخير ومع هذا فعلينا الان بناء نظام جديد وان نحاول هذه المرة الا نبنى نظرية مفرطة فى الاختصاص قد تؤدى بنا الى اخطاء اكثر خطورة • لذلك علينا ان لانكون سوقا نوويا يصلح للموضع الراهن فقط ، يجب ان يكون لدينا سوق شامل قادر لا على مجرد معالجة ظاهرة السلاح النووى (الفضاء الخارجي ، الحرب البايولوجية ••• الخ) فحسب بل القضايا الاكثر تحديدا والحرب غير المباشرة ايضا •

٣ ـ ان هذا السوق الجديد يجب ان يشمل التغيرات الشاسعة التى كانت حصيلة تسخير موارد العلم والصناعة لاجل الدفاع • لقد تغيرت ملامح القضايا الدفاعية برمتها ، لا بسبب مدى وقوة الاسلحة الجديدة فحسب بل بسبب النفقات الهائلة التي تتطلبها ايضا • ولا مناص من ان يؤثر ازدياد هذه

المشكلات باقرب وقت على حجم اية دولة حيــة • ان مسألة الامن هي التـــي اوجدت حكومات المدن للقرن السادس عشر ، ولربما تلعب مسألة الامن مرة اخرى دورا حاسما في تكوين الكيانات العالمية •

ان طبيعة قضايا الدفاع قد تغيرت ايضا نتيجة لتأثير العــامل الصناعي • ان الاستعداد للعمل الان اصعب من العمل نفسه طالما ان حقيقة امتلاك طاقات متفوقة اكثر حسما من الاسلوب الذي تستخدم فيه وهــذا امر مناقض تماما لفن السوق ايام نابليون ، لقد قال « ان القضية كلها قضية ممارسة » •

ان الامن الذى كان يعتمد سابقا على الحماية المباشرة للقوات المسـلحة هو الان فكرة اكثر تجددا ، انه يعتمد على تفوقنا فى الاستعداد اكثر من العدو فبدلا من قضية مفارز الستار ، لدينا اليوم قضية التجسس العلمي • ان مفهوم المناورة سيصبح امرا مجردا اكثر فاكثر ، فبدلا من قوات تقوم بمناورتها عبـر منطقة من الارض وتعلم بعلامات زرقاء وحمراء مع الدوائر والاسهم على الخارطة لدينا اليوم امكانات مضادة علمية وصناعية تقوم بمناورتها عبر فترة زمنية وهو امـر يستحيل ان يمثله شيء مخطط • لقد اصبحت النوعية المعنوية والفنية لاي احصاء للقوة الكامنة للامكانات اكثر اهمية من الكمية وان اى تقدير للموقف قد اصبح بصورة متزايدة ممارسة موضوعية لقد كان مقيـاس الوقت في المـاضي صغيرا , لربما كانت حملة ما في القرن التاسع عشر تستغرق شهرا واحدا والمعركـة عدة ساعات) ، اما في الحروب الكبرى للقرن العشرين فقد كان مقياس الوقت اطول بسبب حجم ساحات الحركات من جهة والحاجة الى فترة مسبقة لانتـاج الموارد المادية التي تعتبر اساسية من جهة اخرى • وفى حرب الامداد والتموين الجارية الان فى وقت السلم فان توفر الوقت المسبق للانتاج هو ضمن خمس سنوات ، وعليه فمن الضرورى القيام بتقديرات لفترة خمس سنوات مقبلـــة استنادا الى الموقف فى المستقبل وهو امر يمكن ان يكون تخمينيا فقط • ولكن هذا التنبؤ اصبح عملية تفكير فعالة جدا •

ان الاستخدام المستمر للفن السياسى والثورى قد اثمر نتائج مماثلة ولكن

عبر وقت اطول ، وعلى سبيل المثال لم يقطف الاتحاد السوفياتي ثمار مؤتمر باكو سنة ١٩٢١ الا في سنة ١٩٤٨ • وما بعدها وذلك بعد انتصار ـ ماوتسي تونغ ـ في الصين •

٤ ـ وبما ان اى صراع من حيث الجوهر سيقرر سلفا وفي فترة السلم فان كل جانب يحاول عادة التوصل الى قرار ما دون الالتجاء الى الحرب لانها اصبحت الان مسألة مراجعة حسابية لكفاءة الاستعدادات التى اتخذت لاغير • هذا هو المنطق الذى يرتكز عليه اليوم السوق الرادع والقضية لم تنته لحد الان •

ان تطور السوق الرادع يظهر الاهمية المتزايدة لانواع اخرى من الرادع وهي الانواع المكملة التهديد بالثأر النووى لذلك فان السلاح النووى شيء اضافى لعائلة الاسلحة السابقة له ولا يحل محلها • ان مصانع الاسلحة تدرج من الفولاذ البارد الى القنبلة الهايدروجينية • وقد يستعمل الفولاذ البارد بقلة الان لكنه لم يختف تماما • ويحدث الشيء ذاته مع الانواع الاقل استعمالا المعروفة بالتقليدية • وقد تم التوصل الى توازن جديد لكن على عكس تنبؤات بعض المتكهنين المعاصرين فان وجود الطاقات التقليدية على نطاق واسع لايزال عنصرا فعالا لهذا التوازن • وفى حقل السوق غير المباشر لابد من اجتناب منظومة الردع لابد ان تجتنب دون شك بوسائل اخرى يصعب علينا ادراكها لحد الان •

٥ ـ ان تطور السوق الرادع يميل اكثر فاكثر الى تقليل منطقة حرية العمل من حيث استخدام القوة ان مجهود الردع المتبادل يمتص حاليا نسبة كبيرة من الموارد والطاقات الوطنية • ولذلك فقد يكون الصراع الحقيقى مقصورا فى المستقبل على العمل الخارجى بالمستوى العالمي على نطاق معتدل ظاهريا • ان غاية اى عمل خارجى كهذا حرى ان يفسح مجالا لكل فريق كي يزن الموارد والعزم المدخر لدى الجانب الاخر ، فاذا ما اندلعت الحرب ينبغي والحالة هذه ، توفر الفرصة لابقاء الحرب محدودة ومحصورة بشروط معينة كان

هذا هو الاسلوب المتبع فى كل الحالات لتحليل الازمات التى احدثتها المناورات وتهديدات السوق غير المباشر • وهكذا حلت ازمة كوبا ، ويعتبر الحل ضمن مدى حقل السوق النووى المباشر • وهكذا فنحن آخذون بالابتعاد تدريجيا عن طراز الصراع الشامل الذى صورته نظريات القرن التاسع عشر • ان اللعبة الحديثة هي من حيث الاساس لعبة سوقية تسيطر عليها السلطات السياسية اكثر من اى وقت آخر •

ان حقيقة وجود مجال لحرية المناورة لاستعمال القوة مهما كان ذلك المجال صغيرا يعني بان الحركات الصغرى الممكنة قد اكتسبت اهمية جديدة • ان الحرب وفق الشكل القديم بمعاركها ليست غير عمليات جراحية دموية • ان الشكل الجديد للحرب بكل ما فيه من ازعاج اكثر شبها بالعدوى الزاحفة لمرض ما • وينبغي ان لا تخدعنا بحقيقة عملها ببطء اكثر او اقل دراماتيكية •

ان التغيرات فى عقدة الشعور بالقوة التى قد تحدث تدريجيا ، ستكون فيما بعد شغبا عالميا • وعليه فمن الضروري ان نكتشف وان نعرف كيف نستعمل علاجا ما للقضاء على ذلك الصراع ذي الاهمية الصغرى ظاهريا في مهده ، ذلك الصراع الذى يستغل ليس حمى مقاومة الاستعمار فحسب بل ازمة تحوير مطاليب الانتاج الحديث وزيادة السكان التي اوجدتها معجزة الطب العلمي الحديث • تلك هي المسألة التى سميتها بالسوق غير المباشر وهي من اخطر المسائل التى نواجهها اليوم وسأناقشها فى الفصل القادم •

٦ ـ وجدير بالسوق الرادع ان تنبعث منه تقنية حقيقية للحفاظ على السلم ولو استعرضنا التقدم الذى احرزناه فى هذا المجال خلال السنوات العشر الاخيرة فلربما يكون لنا عذر للظن بالقدرة على احراز تقدم اضافى اكثر ، واننا سنتوصل يوما ما الى تنظيم معقول وكفوء للسلم افضل مما توصلت اليه المحاولات السابقة لحد الان ، تلك المحاولات التى غلبت عليها المبادىء المعنوية والعاطفية • ان سوق الحفاظ على السلم قد يقودنا اخيرا الى توازن ثابت للقوة يمكننا من

السيطرة الحقيقية على الاسلحة ، والى تشكيل قوة عالمية تستطيع ان تهدد بهذا التوازن اى عابث بالسلم • ان هذا التوصل المثالى ربما لايزال بعيد المنال غير انه ليس خارج مدى التفكير ، فاذا ما عولج بحثنا عن السلم فقد نجد حلولا فى النهاية يكون تطبيقها مؤثرا فى ظروف مواتية •

٧ ـ باختصار : هل نحن سائرون نحو انتحار متبادل ام نحو السلم ؟ ليس لدينا جواب معين لهذا السؤال الاساسي • علينا ان نتأكد من ان الحرب والسلم يتوقفان على ارادة الانسان • فقد كانت الحرب منذ البداية لعبة الارادة الالهية عبر مسيرة التاريخ المجهولة اولا ، وفي العصور الحديثة لعبة الضغط السكاني ثانيا ، ولو قبلنا فكرة ان الخيار بين الحرب والسلم يقررها الانسان وانها معرضة لقوانين التعقل ، لذا يجوز ان يكون السلاح النووى بزيادته لاخطار الحرب قد قدم توطيدا اعظم للسلم • وما لم تلعب بنا الاقدار او تحل بنا كارثة مادية فان الامر المحتمل هو استخدام القوة باسلوب اكثر تمدنا ، كحلقة وصل ، لخطط سوقية سياسية مضللة • سوف لن تكون هناك قفزات فى الظلام تستند على العاطفة او انها على الاقل ستجري ولكن بشكل اقل جدا مما كان ونتيجة لذلك فلن تكون هناك حروب عظمى كالتي عمت فى القرن العشرين والتى كان اساسها الانهيار الاوربى الفج • ولكن هل سيكون هذا سلما حقيقيا ؟ طبعا لا • ان تعطش الانسان للقوة سيبقى وباتحاد هذه الرغبة مع تلك القوى التي لانزال ندركها ادراكا غامضا والتى تسير عملية التطور الاقتصادية والبايولوجية للجنس البشري ، سيجد الانسان ميدانا ما للمعركة حيث سيتقرر اعتزال القوة والممتلكات من قبل احد الجانبين واحرازها من قبل جانب آخر •

ان الحرب بالاسلوب القديم للقوات العسكرية بطبولها المدوية وبنودها العالية قد تصبح خرافة او انها ستختفى كليا • ان اختفائها سيجرى

بصورة متوازنة مع تطور حرب ثورية او نزاع مستمر او ازمة متكررة ، او محاولة علمية مستمرة فى المجالين العسكرى والصناعي •

ان الجنس البشـــري للقرن العشـــرين والذى تراوده اشباح ســـنة ١٩١٤ - ١٩١٨ و ١٩٣٩ - ١٩٤٥ والمسلح الان بكل طاقات العلم الحـــديث قد يجد سبيلا فى النهاية لمنع تكرار هذه الكوارث الا ان سخرية القدر ستجعل الانسان يدفع ثمنا وسوف لن يكون الثمن المدفوع من النوع الذى كان يتمناه • فقد يستمر النزاع على مستوى ثانوي لكنه سيستمر للابد •

وهكذا فستدفن الحرب على نطاق واسع مع الســـلم بمعناه الحقيقي ، جنبا لجنب •

الفصل الرابع

السوق غير المباشر

(معنى الاصطلاح)

ان مصطلح (السوق غير المباشر) يبدو مربكا وغامضا • لقد طور ليدل هارت بشكل باهر نظرية (الاقتراب غير المباشر) التي يعتبرها افضل انواع السوق • ان فحوى هذه النظرية في المحيط العلمي ليس اخذ الثور بقرنيه وبتعبير آخر ، ليس تحدى العدو لتجربة مباشرة للقوة ، بل مهاجمته فقط عندما يكون قد تزعزع ، وبوغت واختل توازنه باقتراب من جهة غير محتملة بصورة لم يكن يتوقعها والمثال على ذلك هو : الاسكندر الذي احتل فلسطين ومصر قبل الزحف نحو ايران ، (سيبو)[1] الذي دحر اسبانيا قبل مهاجمته قرطاجنة ، وهكذا مع العلم ان الانزال الحليف في شمال افريقيا سنة ١٩٤٢ والحملة الصربية سنة ١٩١٨ يقعان ضمن مرتبة اسلوب السوق غير المباشر •

ان سوق الاقتراب غير المباشر في الواقع لازم للجانب الذى لا يستطيع التأكد من كونه قويا لحد يمكنه من دحر العدو على ارض من اختيار العدو ذاته ، ويصرح ليدل هارت بحق انه لا احد يستطيع ان يستوثق من كونه قويا بكفاية وبانه حتى وان كانت هناك قوة فانه سيحرز النصر بخسارة اقل ، لذلك فانه يوصي باستخدام منسق للاقتراب غير المباشر ، وهو بدون شك على صواب في معظم الحالات وتبقى حقيقة ان الوجه الرئيسي لنظريته هو تقويم

(١) سيبو ـ قائد روماني اشترك مع اخيه القائد والقنصل الروماني بابليس كورني ليس سيبو في اخضاع القرطاجنين في اسبانيا الا انهما لم يوفقا وخسرا المعركة وذبحا •

ـ المترجم ـ

التوازن بين القوى ، المتقابلة قبل اختيار المعركة ، والقيام بذلك عـــن طريق المناورة لا عن طريق القتال ، وبدلا من مواجهة العدو مباشرة فالفريق الذي سيطبق ذلك سيلعب لعبة اكثر رقة غايتها التعويض عن قلة العدد •

ان خلاصة الموضوع حسب شروط السوق العسكرى تتجه الى المناورة على الارض (التقرب غير المباشر) ، اما حسب شروط السوق الشامل فانــه قد يطبق بشكل مختلف نوعا ما • فعندما يكون جانب ما راغبا فى بلوغ نتيجة ما بموارد عسكرية هي لسبب او لآخر اضعف من تلك التى يحتمل ان يقابلها الموارد المتيسرة قد تكون اقل شمولا وقدرة او قـد يكون هناك عائق عـــن استخدام طاقات اكبر ، لذلك فاننى اقترح اعطاء هذا السوق العنوان العـــام ، السوق غير المباشر •

وبسبب وجود السلاح النووى وما تسببه الدعوة لمقاومة الاستعمار مـــن اثارة فان هناك مجالا كبيرا لهذا السوق ، وانه كما سنرى قد اصبح معقـــدا جدا وفعالا بشكل مخيف ولكونه غير مباشـــر فان طبيعته الخداعة قلما تفهم ، ولهذا السبب عانينا سلسلة مستمرة من الهزائم في هـــذا المجال وعليه فلا شـــيء اهم لدينا من محاولة فهم كيفية عمله •

ان الفرق الاساسي بين الاقتراب الغير المباشـــر والسوق غير المباشـــر ليس مجرد ان للاول مضمونا جغرافيا كما بينا انفا • ان غاية الاقتراب غير المباشـــر بلوغ النصر العسكري • وبما ان المناورة التحضيرية لهذا النصر هي فقط العملية غير المباشرة لذلك فاني اضع الاقتراب غير المباشر في مرتبة السوق المباشر • ان الميزة الاساسية للسوق غير المباشر هو انه ينبغي الوصول الى نتيجة باساليب غير النصر العسكرى •

ان الميزة الاخرى للسوق غير المباشر هو ان حرية العمل تظهر فيه بزى خاص فى هذا اليوم وفى هذا العصر (لقد كانت هذه هى الحالة ايضا حتى قبل ظهور السلاح النووى) وهناك منطقة معينة لحرية العمل ينبغى ان يحصر فى

اطارها اى صراع ، ان حدود هذه المنطقة تتضح بفعل الانعكاسات التى قد يتركها اسلوب الصراع ، على الوضع العالمي • وللمثال فقد منعت القوات البلقانية[1] سنة ١٩١٢ من مواصلة الاندفاع صوب القسطنطينية خوفا من ان تثبت روسيا نفسها هناك • وفي مراكش كان على فرنسا مراعاة مصالح كل من انكلترا واسبانيا وهكذا ••• ، لقد بينت فى فصل سابق الخطأ الذى ارتكبه الالمان بغزوهم بلجيكا سنة ١٩١٤ وادخالهم الحرب بالغواصات سنة ١٩١٦ • ان العامل الرادع فى تلك الايام كان الخوف مما قصده كلوزفيتز بالتصعيد (فى الحرب) الى الحد الممكن وبكلمة اخرى الخوف من ان يورث الصراع حول قضية محدودة الاهمية حريقا لايتناسب والغاية المؤملة• لقد كانت غاية هتلر سنة ٩٣٦ وسنة ٩٣٩ بلوغ مأربه دون اثارة حرب عالمية • والآن وفي حالة وجود السلاح النووى فان خطر التصعيد قد اصبح من العظم بحيث تقلصت منطقة حرية المناورة بصورة ملحوظة • ان كون وجودها لا زال قائما يبرهن عليه عدد الصراعات المحدودة التي حدثت منذ سنة ١٩٥٠ (كوبا ، الهند الصينية شمال افريقيا ، اسرائيل ، هنغاريا ، السويس ، الكونغو ، كوريا ، برلين) •

كلما تقلصت منطقة حرية العمل ، كلما ازدادت اهمية استخدام ما بقى منها على افضل وجه طالما انها الوسيلة الوحيدة لمهاجمة الوضع الراهن الذي

---

(١) حرب البلقان ـ هما في الواقع حربان جرتا لضم أراض كانت تسيطر عليها الدولة العثمانية الى دول البلقان • نشبت الحرب الاولى بين تركيا والصرب ثم اشتركت فيها اليونان والجبل الاسود • انتهت هذه الحرب بمؤتمر لندن سنة ١٩١٣ وخلقت دولة البانيا في هذا المؤتمر • لم ترض هذه النتيجة حكومة الصرب فاختلفت مع بلغاريا مما أدى الى قيام بلغاريا بالهجوم على الصرب وقيام تركيا واليونان ورومانيا بالهجوم على بلغاريا ثم انتهى ذلك بمعاهدة بخارست سنة ١٩١٣ أيضا • خسرت فيها بلغاريا جزء من الاراضى التى كانت تسيطر عليها • أهمية هذه الحرب انها دعمت تصميم النمسا على سحق الصرب مما أدى بروسيا لاسناد الصرب ضد النمسا • كما ان هذه الحرب خلقت اسبابا أدت لسخط بلغاريا وتركيا فسبب ذلك تدهور الموقف الدولي فيما بعد •

(المترجم)

يترتب على الرادع النووي صيانته وعليه فكلما تقلصت منطقة حرية العمل كلما كانت الطرق المستخدمة للاستفادة منها رقيقة حتى يكون من النادر تشخيص هذه الطرق واعتبارها ملامح للحرب • ومع هذا فقد كانت النتائج المتوخاة عظيمة ، اعظم مما يحصل نتيجة لحرب كبرى • لقد طرد النفوذ الغربي من الصين ومن كل جنوب شرقي آسيا على الاغلب وكان الشرق الاوسط في هيجان وافريقيا الآن في اضطراب ، وقد تأثرت بذلك حتى امريكا الجنوبية وامريكا الوسطى • كل هذه الحوادث ليست النتاج الذي لا مناص منه للتطور التأريخي انها نتاج سوق معين يستخدم مناورات دقيقة ومنظمة تستفيد بحكمة ، من الميول الطبيعية • واني اقترح دعوة هذا النمط من السوق بالسوق غير المباشر • ان هذا السوق هو الذي يبرهن على كونه ترياقا لما دعي بالشلل النووي •

ان السوق غير المباشر ، لذلك ، هو فن استخدام اقل ما يمكن من منطقة حرية العمل المتروكة لنا من قبل التأثير الرادع لوجود الاسلحة النووية واحراز الانتصارات الحاسمة الهامة ، على الرغم من حقيقة كون الموارد العسكرية التي يمكن استعمالها لذلك الغرض ينبغي ، على وجه العموم ، ان تبقى محدودة بكل صراحة •

وابتداء من هذا التعريف سنحاول الان الاطلاع على ماهية قواعد هذه اللعبة الشديدة الرقة •

مفهوم السوق غير المباشر

ان الضرورة الاولى للسوق غير المباشر هي القرار على مدى وسعة منطقة حرية العمل في الموقف الراهن ، ومن ثم التحقيق من ان مدى هذه المنطقة يمكن ادامته او توسيعه ، ان امكن ، وفي الوقت نفسه تقليص منطقة حرية العمل للعدو الى ادنى حد ممكن •

وهنا نعود الى المبدأ الذي شددنا عليه عند تحليل السوق بصورة عامة

ان اية منافسة جدلية هي لنيل حرية العمل • ان الوجه الحقيقي الاصيل للسوق غير المباشر هو ان حرية العمل المتوفرة فيه تعتمد الى حد زهيد على تلك الحركات التي قد تجرى ضمن المنطقة الجغرافية ذات العلاقة وتقرر هذه كلية على الاغلب من قبل عوامل خارج نطاق هذه المنطقة مثلا : تقدير قيمة قدرة الرادع النووى تقدير ردود الفعل العالمية ، تقدير النشاط المعنوى للعدو وحساسيته لكل من الضغط الخارجي ولكل اجراء يزمع اتخاذه وهكذا ••••

وعليه فان احتمال نجاح اية عمليـــة خاصة يعتمد على نجاح العمل على مستوى عالمي وسأسمى ذلك المناورة الخارجية وان اهميتها نادرا ما تدرك على الاغلب • ان الناس لم يدركو ان بؤرة الصراع لم تكن في المنطقة حيث يجرى القتال بل خارجها • ان سوء التقدير هذا كان اساســا لهزائمنا الخطيرة التي تكبدناهــــا •

مفهــوم المناورة الخارجيــة

ان الوجه الرئيس للمناورة الخارجية هو ان يتأكد المرأ من الحد الاقصى لحرية العمل وفي الوقت ذاته ان يشله بعدد من الصدمات الرادعة ، نوعا ما ، كما شد اقزام ، ليلى بت ، كوليفر[1] وكما هو الحال في جميع العمليات المصممة للردع ، فان العمل سيكون من حيث الابتداء نفسيا بطبيعة الحال ثم توحـــد التدابير السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية نحو الغاية ذاتها •

---

(١) اسفار كوليفر ـ تأليف جوناثان سويفت ـ وهي سـفرتان اولاهما لبلاد الاقزام ، والاخرى لبلاد العمالقة ، والمشار له سفرته الى بلاد الاقزام (أرض ليلي بت) اذ وصلها بعد اصطدام سفينته ففقيده الاقزام فترة من الزمن ثم استأنسهم واستأنسوه واشترك في مباهجهم ومعاركهم وهرب بعد ذلك الى بلاده باحدى السفن التي وجدها مصادفة •

(المترجم)

ان السياق المتبع لبلوغ هذا التأثير الرادع يتدرج مابين الرقة المتناهية والقسوة البالغة وسيجرى الاستشهاد بالنصوص القانونية للقانونين القومي والدولي كما سيجرى التلاعب بالمعنويات والقضايا الانسانية الحساسة مع محاولات لوخز ضمير العدو ليشك بعدالة قضيته • بهذه الاساليب نستثير معارضة قسم من الرأى العام الداخلي للعدو وبالوقت ذاته نثير لمصلحتنا قطاعا ما من الرأى العام العالمي والنتيجة تكون ائتلافا معنويا كما ستجرى محاولات لاختيار فئات من الناس البسطاء اكثر واشراكهم بالعواطف والمشاعر المؤيدة بالادلة المبنية على براهين سبق تفهمهم لحقائقها •

وسيستغل مثل هذا المناخ الفكرى فى منظمة الامم المتحدة او خلال اجتماعات دولية اخرى وسيستخدم بصورة اساسية كتهديد لمنع العدو من القيام بعمل ما• وسيكون هناك تهديد وتدخل حقيقي غير مباشر بارسال الاسلحة والاختصاصيين والمتطوعين ، واذا دعت الضرورة فستجرى اللعبة بالتهديد السياسى والانتقام الاقتصادى واخيرا سيكون التهديد بعمل مباشر يحتمل ان يتضمن حتى استخدام الاسلحة النووية • هذا ليس تسلسلا مملا فالقارىء سيهتدى الى امثلة عديدة مشهورة من التأريخ الحديث لكن سياق اعمال هذا النوع لا ينجح الا بوجود شرطين :

اولا ـ ان القوة الرادعة العسكرية (سواء كانت تقليدية ام نووية) يجب ان تصطنع تهديدا شاملا كافيا لمنع العدو من الرد على نطاق واسع •

ثانيا ـ كل الافعال المتصورة ينبغى ان تلائم نهجا معينا لسياسة مفهومة بحيث تشكل تأكيدا منطقيا وعلى سبيل المثال فعندما اشتركت الولايات المتحدة وهى دولة حرة تقليديا فى كوبا ولو بصورة غير مباشرة كمافى عملية خليج الخنازير فانها قد حطمت نتيجة زائفة كانت تعتقد بواقعيتها لا بزيفها •

ومثل هذه خليق بها ان تكون ذات نتيجة يسيرة بالنسبة للسوق المباشر

. خاصه اذا كانت العمليـــة ناجحه[1] غير انه في السوق غير المباشر كان على الكوبيين ان يدفعوا ثمنا غاليا لها .

وعندما تنازلت فرنسا عن مستعمراتها في افريقيا السوداء وغادرت مراكش وتونس طوعا ، فانها بتمسكها بالجزائر كانت قد حطمت نتيجة زائفة . وعليه فان اختيار النهج السياسى المزمع اتباعه هو اذن قرار سياسى لنجاح الحركات باسرها

ومن الجدير بالذكر فان المرء على المستوى النفسى كما هو في الحركـات العسكرية ، يحتل موضعا ليحرم العدو منه لذلك فمن الممكن اتخاذ مـــواضع مجردة وحرمـان الجـانب الاخر منها . لقد نجح الاتحاد الســوفياتي مثلا فى ان يقبل كل فرد داخل الستار الحديدى بالاعتقاد بان هذا الستار حاجز سياسى منيع عند محاولة الاتجاه من الغرب الى الشرق ، ولكنه لايعتبر عائقا عند الاتجاه من الشرق الى الغرب . وهكذا رجعوا الى مفهومهم الخاص للحفاظ على السلم . ذلك المفهوم المتعلق بالغاء الاسلحة الذرية بينما هم مستمرون في تطوير اسلحتهم المماثلة ، والذى يتعلق بمقاومة الاستعمار (بينما هم انفسهم يحكمون الامبراطورية الاستعمارية الوحيدة الموجودة حاليا .) ان هذه الظاهرة موجودة دون شـــك لكنها ضمن مجال التعبية النفسية وسوف لن تبحث هنا . ولابد مـن الاشـــارة بشكل عابر الى ان هذه الانتصارات قد تكون في معظم الاحوال مستندة عـلى مبادىء مقبولة تماما من قبل الجانب الاخر ولذلك قد يحدث يوما ان يغـــزو الغرب هذه المواضع العقائدية المحتلة من قبل القوى الماركسية ، وان ذلك يـدل على ان الغرب بسوقه غير المباشر قد تعلم قيمة التفكير والحساب بدلا من محاولة تطبيق المبادىء القانونية او المعنوية التى يستطيع العدو ان يستخدمها ضده فـي كل مناسبة .

عند اختيار نهج سياسى يجب بالطبع مراعاة الدوافع النفسية الراهنة مثلا (التسوق للسلم ، ومقاومة الاستعمار ، العزم على رفع مستوى المعيشة ، ..الخ)،

---

(1) كما برهنت على ذلك حادثة كوبا سنة ١٩٦٢ .

(المؤلف)

اما العوامل الاضافية فهي النقاط الواهنة لدى العدو ولدى اى حلفاء يراد الاستفادة منهم وفي معظم الحالات ستكون النتيجة ادارة الصراع بصورة مباشرة او «بالتفويض» ان هذا الخيال لا يخدع احدا وانما هو مهم نفسيا واضافة لذلك طبعا فمن الضرورى التنبؤ بردود فعل العدو المحتملة وتحضير ما يقابلها من اجراءات مضادة مؤثرة• ان النهج السياسى هو فى الحقيقة المفهوم العام لخطة حركات حقيقية فى المجال النفسى وينبغى ان ينفذ بالاتقان والدقة ذاتها كخطة حركات فى السوق العسكرى•

مفهوم المناورة الداخلية

بعد ان تأكدنا من درجة حرية العمل فان الخطوة الاخرى هي تفسير المناورة المزمع استخدامها فى المنطقة الجغرافية التى يرغب بالتوصل الى نتائج معينة فيها وسأسمى ذلك (المناورة الداخلية)

ان العناصر الرئيسة لهذه القضية هى ثلاثة عوامل متباينة لكنها متداخلة • (القوة المادية ، القوة المعنوية ، الوقت) • فاذا كانت القوة المادية المتيسرة تفوق مالدى العدو ، فان الضغط المعنوى يكون اقل ضرورة وبالامكان اتمام العملية بزمن قصير • ومن جهة اخرى اذا كانت القوة المادية المتاحة يسيرة فينبغى ان يكون الضغط المعنوى عظيما ولا مناص من ان تطول العملية • هناك اذن نوعان من انواع السياق السوقي كل منهما فى احدى نهايتي الميزان •

في النوع الاول تكون الغاية التوصل بسرعة هائلة وباستخدام ملحوظ لتفوقنا فى القوة المادية الى بعض الغايات المتوسطة ضمن حدود حرية العمل الخارجية المتاحة ، وعندئذ تبرز مسألة القيام بوقفة قبل اجراء حركات اخرى • لذلك فهذا الشكل من العمل يتضمن سلسلة من الحركات لاحتلال اهداف محدودة نسبيا تتخللها مفاوضات ومباحثات يمكن تسميته بالاسلوب التدريجي (١)

---

(١) **المصطلح الالماني لها هو تعبية (SALAMI) وتعني النهش أو الاكل قطعة فقطعة •**

(المترجم)

لقد عرض علينا هتلر تطبيقا معتبرا لهذا الاسلوب ما بين سنتي ١٩٣٦-١٩٣٩ كما جربه الاتحاد السوفياتي في مناسبات عدة بنجاح متباين (تشكوسلوفاكيا ، كوريا) وقد كانت الحملات الاسرائيلية المتعددة على سيناء من هذا النوع ولو ان هدفها كان دفاعيا •

وفي النوع الثاني فالفكرة هي التوصل الى هدف (قد يكون ذا اهميــة ملحوظة) ليس عن طريق النصر العسكري بقدر ما يكون بالحفاظ على صراع مستمر مصمم منظم بحيث تزداد اعبائه على العدو ذلك هو اسلوب « الاضعاف» او «التفتيت» وميزته الرئيسة صراع مستديم • ان ماوتسي تونغ هو زعيم هاتين النظريتين وقائدهما الناجح • ان احدث واكمل مثال لهما هو الجزائر • وتدخل برلين في المرتبة ذاتها على الرغم من ان المناورة هناك اكثر خداعا •

هناك طبعا تدرج في العمل يصل بين هذين النوعين المتطرفين • لقد كان المقصود ان تكون حركات كوريا حركات تدريجية (شيئا فشيئا) الا انها انتهت الى صراع ابادة وكانت حملة الهند الصينية تستند بصورة رئيسة الى سوق التفتيت غير انها انتهت « بحركات تدريجية منظمة »

أسلوب التفتيت

ان مفهوم التفتيت له اهميته العظيمة لانه في الحقيقة امر دقيق جــدا • المسألة هي جعل العدو الذي هو اقوى منك يقبل الشروط التي قد تكون قاسية عليه جدا بينما انت تستخدم موارد جد محدودة ضده • وهذا هو المكان الذي ينبغي لنا ان نستخدم فيه اقصى مايمكن من العوامل المتباينة المتداخلــة المــذكورة آنفا • فكلما طال امد العمل كلما كان ضروريا ادخال الضغط المعنوي في الصورة للتعويض عن النقص في القوة العسكرية • عليه فمن الضروري ادارة العملية في محيطين بوقت واحد ، المحيط المادي مثل القوة العسكرية والمحيط المعنوي مثل (العمل النفسي)

المحيط المادي

ان المطلب الهام فى المحيط المادى هو الصمود ، ويرى رايموند آرون بان هذه هى الغاية النهائية للسوق ولكنها فى اى حالة منها يتضح لنا انهـــا من نوع الحركات المبنية على تعبية التفتيت •

اذا كان احد الجانبين يعانى صعوبة مادية بصورة ملحوظة فان امله الوحيد فى البقاء يكون برفض المعركة واستخدام تعبية الازعاج للحفاظ على استمرار الصراع وذلك يعنى قتال العصابات الذى يضارع فى قدمه قدم التلال والهضبات ومع ذلك فقد نسيته الاجيال وصار عليها ان تتعلمه من جديد • وفى السنوات الاربعين الماضية طورت مجموعة من القواعد السوقية لاسلوب الحركات [1] هذا ونتيجة لذلك فقد اصبح بالوسع الآن ادارة القتـــال على هذه الخطوط بكفاءة متزايدة ومعتبرة وبالتالى على نطاق واسع من شأنه التعويض عن تفاوت القوى المادية • وقد وضع ماوتسى تونغ سبع قواعد كأساس لحركات حرب العصابات وهى ، التعاون الوثيق بين الشعب والعصابات ، الانسحاب بوجه عدو يتقدم بقوة، ازعاج ومهاجمة العدو عند انسحابه (نسبة واحد من العصابات مقابل خمسة من العدو تكفي سوقيا وخمسة من العصابات ضد واحد من العدو تدعو الحاجة اليه تعبويا)•

وقد تحققت القاعدة الاخيرة اوليا عن طريق ما يسميه (الانسحاب المتقارب) وعلى سبيل المثال (والتحشد فى اثناء الانسحاب كان له مجالا كافيا فى الصين) والقاعدة الاخيرة من قواعد ــ مــاو ــ الســوقية هى انه ينبغى لتموين وتجهيز العصابات ان تقيم بعيدا عن العدو • هذه القواعد السبع تكون الحد الاســامى الادنى لادارة هذا الشكل من الحرب بنجاح ولكن غالبا مالايعلم بانها الحد الادنى

(١) يظهر بصورة خاصة لدى لورنس وفي الوصايا السوفياتية الرسمية ولدى ماوتسى تونغ •

(المؤلف)

مثلا : كانت القيادة الفرنسية تظن ان بوسعها جعل الجزائر حصنا لها ضد ثوارها . او موافقة الامريكان على فكرة الانزال في كوبا لكل رأس جسر تقليدي . وبجانب ادنى مما تمثله هذه المبتغيات لحرب العصابات فهناك مفهومان آخران اساسيان لادامة حرية العمل لحركات حرب العصابات الاول سوفياتي الاصل مع انه استخدم قبلئذ من قبل الايرلنديين ، ويتضمن ارهابا نظاميا غايته منع السكان من نقل اية معلومات الى العدو ومن ثم اعاقة قوى الامن ، وقد لمسنا كفاءة هذا الاسلوب في كل من الهند الصينية والجزائر ، وان البربرية التي ادير بها لم تثر الرأي العام العالمي اما المفهوم الثاني فقد استعمله لورنس بمهارة على الخط الحديدي في الحجاز ، ان مبدؤه هو توسيع تهديد حرب العصابات الى اقصى ما يمكن دون اثارة اي رد فعل للعدو وبالتالي جعله يواجه مشكلة أمن متزايدة الصعوبة وستكون النتيجة اجبار العدو على استخدام قوة اكبر لحماية عدد متزائد من النقاط وهذا يمكن الى حد كبير من تقويم توازن القوى المتيسرة . وفي الجزائر على سبيل المثال ظل (٣٠٠) الف جندي (فرنسي) منتشرين على امتداد خطوط المواصلات بسبب (٣٠) الف من الثوار .

واخيرا فان عدد العصابات (وقابلية ازديادها واتساعها عالية) ينبغي ادامته وبذلك يزداد الضغط على العدو . ولهذا الغرض ينبغي ان تكون هناك منظومة لتهريب الاسلحة (او القائها بالمظلات كما حدث في فرنسا سنة ١٩٤٤) وينبغي ان يعقب هذا باسرع ما يمكن ، انشاء قواعد قريبة من المنطقة المزمع مهاجمتها ، وتؤمن حماية هذه القواعد – التأثير الرادع التي تفرضه المناورة الخارجية . وهذا كان عمل القواعد في الصين خلال حرب الهند الصينية والقواعد التي كانت اولا في مصر وبعدئذ في تونس ومراكش خلال حرب الجزائر والقواعد في الكونغو البلجيكية – سابقا – خلال الحركات في انكولا البرتغالية ، ويرى بعض الكتاب ان تأسيس هذه القواعد هو العامل الحاسم في حرب من هذا النوع وحتى اذا لم يكن حاسما فانه ذو اهمية كبرى ، ويجب ملاحظة ان فشل حركات حرب

العصابات مثلا في كينيا والملايو كان لانها عزلت ـ عن قواعدهـا ـ في الحقيقـة وتبين هذه النقطة الاخيرة بان المناورة الخارجية بالاضافة الى دورها الرئيسى فى تأمين حرية العمل فان لها دور حركاتي حيوى تلعبه •

المحيط النفسي

ان المفهوم العام فى المحيط النفسى هو الصمود ايضا ، وللقيام بذلك فمن الضرورى رفع معنوية كل من المقاتلين والسكان وابقائها على مستوى عال • ان السيطرة على المعنويات له خطورته الحيوية وتظل الغاية منه اجبار العـــدو على التنازل بتطبيق اسلوب التفتيت • ان العمل النفسى اساسى ايضا فى هذه الحال للحصول على اقصى الفائدة من النجاح المتحقق •

ان العمل النفسى هذا امر معقد وبما انه موجه الى الجنود فى الميدان والى السكان المدنيين سواء كانوا اصدقاء ام اعداء فانه يجب ان يوجه عاملان رئيسان هما النهج السياسي والتعبية النفسية المختارة •

ان النهج السياسى الاساسى يجب ان يكون مطابقا لذلك الذى يستعمل فى المناورة الخارجية • ان عليه ان يكون قادرا على اثارة هامد عاطفة السكان استنادا للصراع • ان هذه العواطف (سواء كانت وطنية دينية او اجتماعية) يجب ان تلهب افكار الناس بالمناقشات التي عليها ان تبين عدالة القضية التي تقوم باسنادها كما ان نجاح العملية يجب ان يعرض للآخرين على انه امر مؤكد ليس لاننا نحن الاقوى فحسب (من حيث الاساس ليست هذه الحالة دوما فى هذا النوع من الحرب) بل لان (الله) او (بعض التيارات التاريخية) في صفنا • ان حتمية التـاريخ يجب ان تعرض كحوادث موجهة الى الاتجاه المرغوب ، وهكذا سيكمل عرض الحوادث هذا الدور الذى لعبته الخيالات والتصورات المقدسة لالهاب حماسـ الاوربيين للحروب الصليبية ، انه سيولد في الذهن موقفا قدريا ـ قدرية مقرونة بالتفاؤل ـ تقابلهـا قدرية مقرونة بالتشاؤم من جانب العدو ، انه موقف ذهنـي

لا يختلف عن قدرية المسلمين الذين يعزون الى القدر ما هم فيه سواء كان ذلك دست الحكم ام العبودية •

ان هذه النقطة الاخيرة لها اهميتها الكبيرة • اننا لم ندرك حقا مدى اهمية ذلك العامل الذي صاحب الغزو السريع للعالم من قبل الجنس الابيض فقد ساد الشعوب المظلومة شعور باننا كنا محمولين على اجنحة القدر ولاشيء يستطيع منعنا عن ان نكون الحكام المطلقين لمستقبلهم • وقد كان ذلك وهما اثبتته لهم الانتكاسات التى انتابت الغرب خلال الفترة الاولى من الحرب العالمية الثانية ، لقد فقدنا ماء وجهنا واصبحت العوامل المعنوية التى كانت قبلئذ تعمل لصالحنا ضدنا فى الوقت الحاضر •

تتضمن التعبية النفسية بوضوح الفنون المعروفة فى عصرنا الحاضر ـ الدعاية ، التثقيف الموجه وتنظيم السكان المدنيين ، وكلها تنفذ ضمن اطار وثيق السيطرة محكم الحلقات • ومن الضرورى ، فى هذا النوع من الحرب الاهتداء الى حقيقة ان النجاحات الصحيحة الوحيدة هي النجاحات النفسية وعليه يكون القتال في الميدان ذا قيمة بقدر مايرفع من معنوية القوة المقاتلة والسكان المدنيين ولذلك ينبغيبوجه عام ادارة حروبالعصابات واضعين هذه الغاية نصب العين ومن جهة اخرى فان افلت النجاح او كان يسيرا جدا فان الخداع يمكن ان يحل محلها ، او (ان كان ذلك ضروريا) التشويه التام للحقيقة (فكرفى الدفاع البطولى عن بورسعيد عن اغراق المركب سفرن من قبل الفيتناميين واغراق البارجة جان بار من قبل المصريين ، وانزال الجيش المصري في القبيلي ••• الخ ••• الخ) •

وعلى غرار ذلك سيكون العدو قادرا على مضاعفة التأثير النفسى لاى عمل يقوم به حتى ولو كان غير اصيل وفي نطاق ضيق ، وذلك عن نشر لمع متدفقة من الانباء المثيرة للعواطف كالتى تود الصحافة الغربية نشرها • ويجب ان يلاحظ هنا بانه ولو ان النهج السياسي ينبغي ان يشكل كلا مترابطا الا ان

ومالم يكن هناك تناسق تام بين المناورة الخرجية والداخلية فان الصراع الذى قد يبدأ على شكل قضية صغيرة سينمو بسرعة ويستمر • وما لم يولـد العمل الاقليمي الرادع الضرورى الادنى ومالم يخمد القتال المحلي في مهده فستكون الفرص سانحة لنجاح الحركات في النهاية والنتيجة على افضل مـا تحصل ستكون تخلي العدو عن الصراع (كما في تونس،مراكش،والجزائر) واذا فشلت المناورة الخارجية في منع تدخل قوى اخـرى فسيتم التـوصل الى اتفاق شكل تقسيم أو تجـزئة (اسرائيل ، والهنـد الصينية) • واذا لم تقـدم المناورة الخارجية اسناداً كافيا للمناورة الداخلية واذا كان العدو مصمما عـلى خوض الصراع بشكل مؤثر ، فان العملية ستفشل (كينيا ، الملايو) ومع ذلـك فالبذرة المغروسة فى اثناء النزاع ستنمو فيما بعد وسيجبر العدو على الاقـــل لبذل جهد ملحوظ يقابله بذل ضئيل للطاقات من جانبنا •

ان هذه النقطة الاخيرة تلقى ضوء على الخطورة التامة لاسلوب التفتيت فاذا احسن التفكير فى العملية واديرت بصورة جيدة فستكون الاخطار المصاحبة لها يسيرة جدا • بينما تكون الفوائد المحتملة كثيرة ، وحتى اذا فشلت فـــان العدو سيكون مجبراعلى بذل جهد ملحوظ يقابله جهد يسير من جانبنا • لقـد تنبأت قبل ثلاثة وعشرين سنة ، اخذا تعبية هتلر كمثل ، بان هذا النوع مـــن الصراع سيتطور فى المستقبل•ان الحقائق ساندت نبوئتي هذه واعتقد اليوم بانه تحت مظلة السلاح النووى سينمو هذا النوع من الحرب ويستمر فى النمو الـى ان يتم تطوير نوع مضاد له وفعال من انواع الحرب والى ان تكون هناك قدرة على ايجاد رادع له في هذا الحقل يماثل الرادع الذى نملكه فى الحقول الاخرى وسنناقش هذه المسألة فيما بعد غير اننا يجب ان نلقي نظرة على جزء من مناورات التجزئـــة •

مناورة التجزئة

ان تعبية التجزئة ابسط ، لانها بقدر مايتعلق الامر بالعمل فى المنطقة تستند بصورة رئيسة على التقديرات السوقية العسكرية • ان الدور الذى تلعبه المناورة الخارجية خطير على كلّ حال كما فى اسلوب التفتيت • ولقد كان ذلك واضحا فى السويس وسيناء فقد كانت الحركات العسكرية هناك ناجحة تماما لكن ذلك لم يمنع اندحار الحملة كلها لانها كانت دون غطاء خارجي •

ان هذا لايعنى ان السوق العسكرى فى حركات التجزئة لايخضع لتحديدات معينة • ان حرية العمل ستكون قليلةحتى اذا كانتالمناورة الخارجية متقنة فهناك مخاطر ملحوظة سواء كانت بخصوص الهزيمة ام التصعيد ما لم يحقق العمل المحلى المباغتة ويخلق بسرعة امرا واقعا يمكن ان يكون اساسا للمداولات اللاحقة ان سبب الفشل السوفياتي فى كوريا كان لان الحركة لم تؤد الى نتيجة سريعة وانما تعثرت فى حملة طويلة الامد ولو لم يكن هناك رأس جسر فى (فوزان) [1] فان التعرض المقابل فى انشون [2] لم يكن ليحدث ابدا ، كما لم يكن ليحدث أي رد فعل امريكي لاحق • ان الخطة السوفياتية كانت تنقصها السرعة والقوة الكافيتان ، وكما في السويس فقد كان من الحماقة القيام بحركات جوية للتنعيم خلال الايام العشرة التي سبقتالانزال

---

(١) بدأت الحرب الكورية في ٢٥/حزيران/١٩٥٠حينما بدأت ارتال قوات كوريا الشمالية بالتدفق عبر خط العرض ٣٨ الى كوريا الجنوبية وصدرتالاوامر للجنرال ماك ارثر بان يأمر الاسطول السابع ليقدم الاسناد لقوات كوريا الجنوبية • ثم صدرت اليه الاوامر بتدخل القوات الارضية الامريكية في الحرب وكانت بوزان أو فوزان ـ منطقة دفاعية انشأها الامريكان لحماية ميناء بوزان ومدينة تيكو والحافة الجنوبية الشرقية من كوريا •

(٢) انشون ـ ميناء في كوريا الجنوبية جرى فيه انزال أميركي وتعرض في ١٥/أيلول/١٩٥٠ لقطع خطوط مواصلات قوات كوريا الشمالية • تقع انشون غرب مدينة سيؤل على البحر الاصفر •

(المترجم)

انها فقط اتاحت لمصر فرصة فرض امر واقع لصالحها قبل حدوث الانزال وعلى العكس من ذلك فان احتلال هتلر للضفة اليسرى من نهر الراين وللنمسا وبعدئذ لتشكوسلوفاكيا كان يتم في كل حالة خلال اربع وعشرين ساعة وهذا ادنى حد لزمن رد الفعل بالنسبة للدبلوماسية العالمية •

ان الحركة المحلية في هذه الحالة ينبغي ان تكون طبيعتها اذن طبيعة هجوم فجائي قوي واسع النطاق • ان الملامح الرئيسة لهذه الحركة ستكون المباغتة ، السرعة ، العمل السريع بقوة ضد النقاط الضعيفة واستثمار الفوز فورا وبقوة • وعليه فمن الواضح ان يكون ذلك من عمل التشكيلات المحمولة جوا أوالمدرعة او (المنقولة بالاليات) وستؤمن سرعة العمل ، لا بدقة المعلومات وقوة التنفيذ فحسب بل بالاستعداد الدقيق في كل الميادين • ان حركة من هذا النوع لا يمكن ان ترتجل • ان حرية العمل المستحصلة بالمناورة الخارجية قد تكون ضرورة حيوية للنجاح على ان هنك عاملا خارجيا آخر له اهمية مماثلة ، اذ يجب ان يكون الهدف ذا طبيعة محدودة بقدر كاف ليرضى به الرأى العام العالمي هدفا لقد كان هتلر ناجحا في عرضه للعالم كل هدف من اهدافه كما لو كان هدفه النهائي والوحيد• ان هذه اللعبة نجحت ثلاث مرات منذ البداية حتى مؤتمر ميونيخ • ولكن بعد تشيكوسلوفاكيا لم يخدع احد بسوق التجزئة الذي كان هتلر ينفذه اما القضية التالية لبولندا من قبله فقد اطلقت عقال التصعيد الذي انتهى بالحرب العالمية الثانية بالرغم من وجود كثير من الناس في الغرب ممن اعتقدوا حتى في ذلك الحين ، بانه سيكون هناك محيط آخر محدود للصراع• وهذا يبين تحديدات هذا السوق ، اذ لا جدوى من محاولة استخدامه لنيل اهداف هامة جدا بفعل سلسلة من القفزات على الرغم من ان بالوسع القيام بذلك عن طريق توزيع هذه العملية على مدة زمنية طويلة • وبما ان اساليبها شديدة بالضرورة وانها ، طبعا ، تتسم بطابع عاطفى نوعا ما ، فان استعمالها اخطر بكثير من استعمال اسلوب التفتيت • غير انه تحت ظروف معينة قد تكون عملية

ومتينة جدا خاصة اذا امكن اظهارها بطابع دفاعي كما فعلت اسرائيل في مناسبات عديدة •

مضادات السوق غير المباشر

لقد استخدم السوق غير المباشر منذ سنة ١٩٣٥ لحد الان بصورة مستمرة وبنجاح • فقد استخدمه هتلر بين سنة ١٩٣٦ – ١٩٣٩ مستخدما بصورة رئيسة تعبية التجزئة • وما بين سنة ١٩٣٩ – ١٩٤٥ كانت هناك فترة سوق مباشر الا ان السوق غير المباشر عاد الى المسرح مرة اخرى كان الاتحاد السوفياتي فيها الممثل الاول مع التأكيد هذه المرة على تعبية التفتيت •

ان حقيقة كون السوق غير المباشر هو السوق السائد وانه سيظل معمولا به على ما يظهر تنبثق من ظروف الحرب الحديثة فلقد ادرك الكل منذ سنة ١٩١٨ ، او بالاحرى منذ هيروشيما ، بان الحرب العامة شر من الشرور ، ولقد حاول الكل اجتنابها غير ان الذين تتضمن سياستهم بعض التغير في نظام الامور المقررة يستمرون على استعمال القوة لنيل اهدافهم ولا مناص من ان يؤدي ذلك الى اللعبة الرقيقة للسوق غير المباشر ، التي يلعبها الممثلان البارزان على المسرح كل وفق ما لديه من مهارة ذاتية • لقد تناوب اسلوب هتلر بين المراوغة والعنف ويستخدم الاتحاد السوفياتي اسلوب الزحف البطيء لافشاء الارتباك تحت ظل تهديد خداع •

هذا ضرب قديم من ضروب السوق • ان حرب المائة عام[1] لم تكن في

(١) حرب المائة عام – جرت بين فرنسا وانكلترا (١٣٣٧ – ١٤٥٣) وسببها معارضة ملوك انكلترا (بوصفهم دوقات مقاطعة جوبين الفرنسية) لمحاولة ملك فرنسا تركيز السلطة بيده • استمرت هذه المعارك متقطعة وظهرت قبل انتهائها جان دارك التي فكت حصار اورليان وهزمت الانكليز في باتاي وشهدت تتويج شارل السابع في كاتدرائية ريمس • وبعد هذه الفترة بدأ المد يتحول الى جانب فرنسا فاستعاد الفرنسيون باريس ومقاطعة نورمندي وجوبين ثم بوردو • الملحوظ في هذه الحرب من الناحية الفنية العسكرية تطور فن المدفعية وازدياد انتشار الجنود في الخط • – المترجم –

الحقيقة سوى حملة حرب عصابات طويلة الامد كان المشهد الاخير فيها المعجزة النفسية (لجان دارك) على ان اية ظاهرة لها كانت قد ادهشت الناس وحيرتهم فقد عمى الناس بفعل النظريات السوداء والبيضاء للقرن التاسع عشر فاعتقدوا السلم والحرب امورا مختلفة تماما واعتبروا السوق غير المباشر في معظم الحالات لعبة تتعلق بالسياسة ، وبما ان الناس لم يجدوا بديلا ما بين الحرب العامة واللاشيء فقد سمح لهتلر ان يسير في طريقه دون كبح جماح لمدة اربع سنوات ومن ثم اطلق العنان لصراع عالمي انتهى بانهيار اوربا ، ولم يدرك احد في حينه انه كان بالوسع دحر هتلر باستخدام الاساليب التي كان يستخدمها بنفسه ، وبعد سنة ١٩٤٦ بدأ الاندفاع الستاليني يعيد الخطة ذاتها فردت الولايات المتحدة على ذلك بسوق كان له سمات معينة من السوق المباشر خاصة خطة مارشال وعلى كل حال فقد كانت منطويات جهدها وهي ضمن حقل السوق المباشر قد تمركزت حول السلاح النووي وهذا ولد السوق الرادع الذي كانت نتيجته دفع الاتحاد السوفياتي - وآخرين - الى رفع درجة سرعة الحركات للسوق غير المباشر • لقد كان سياق حركات الاتحاد السوفياتي بهذا الشأن مؤثرا فعندما اوقفوا في ايران سنة ١٩٤٦ اندفعوا نحو اليونان ثم قذفوا منها خارجا سنة ١٩٥٠ وفي سنة ١٩٤٨ سجلوا انتصارا في الصين وفي براغ سنة ١٩٤٩ وفي سنة ١٩٥٠ حصل التدخل في كوريا والهند الصينية ، وفي سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤ جرى اندفاع غير مباشر نحو الشرق الاوسط وفي سنة ١٩٥٤ التهبت نيران الحوادث في شمالي افريقيا ثم كانت كوبا سنة ١٩٥٩ والكونغو سنة ١٩٦٠ وانكولا سنة ١٩٦١ كما وضعت المانيا تحت ضغط ازمات برلين المتلاحقة •

لقد حقق الاتحاد السوفياتي خلال خمس عشرة سنة بما فيها من فشل ونجاح معين نتائج اعظم مما كان يستطيع احرازه في اى نصر عسكري كبير •

وعندما واجه الغرب هذا الوضع كانت استجابته مفككة وبالتالي عديمة التأثير لان حقائق المسألة لم تكن قد قدرت بصورة عامة • ان الحلول المتبناة كانت

مسكنه فقط وغالبا ما يجرى تطبيقها امام اعين العدو ، لذا فمن الضرورى ادراك الطبيعه الحقه للسوق غير المباشر وان نعمل بموجب ذلك •

ولا املك الجراة على الظن بانني هنا ساستطيع وضع حل تام لمسألة تطوير الدفاع ضد السوق غير المباشر • كل ما امل القيام به هو الاشارة الى بعض الاراء العامه التي قد تساعد على العثور على جواب فعال للتحدى الذى نواجهه في هذه السنين الغريبة للسلم المزعوم والتي كل ما استطعنا ان نفعله خلالها هو التنازل عن مناطق كبيرة كانت ام صغيرة • في الصفحات التالية يجب ان لا يتوقع القارىء وجود اكثر من محاولة ابتدائية وخطوط اولية مستندة على خبراتنا الاخيرة لحلول ممكنة معينة •

المناورة المضادة الخارجيــة

على المرء ان يستطيع التميز بين العوامل الاساسية والعوامل الثانوية في حقل السوق اكثر من اى حقل آخر لاية فعالية اخرى • ان العنصر الاساسي للسـوق المباشر هو القوة وبكلمة اخرى الموارد المادية التي استنادا الى حجمها نتمكن من نيل حرية العمل • وفى السوق غير المباشر تبقى حرية العمل ميزة اساسية على ان مهمتنا الرئيسية تنصب على ما يتعلق بالاساليب غير المباشرة المصممة لتحقيق وجود حرية العمل لدينا • ان اكثر كل ذلك اهمية هو المناورة المضادة الخارجية • ان العامل الرئيس هنا هو طبعا السوق النووى المباشر ذو الرادع العالمي ،لذلك لايمكن ان يكون هناك تراخ بالجهد في هذا الحقل ولو كان ذلك كل شيء ـ كما يميل بعض النظريين الامريكيين الى القول ـ فانه يترك للعدو حرية كاملة للعمل في مجال السوق غير المباشر والعكس هو انه لو كان العمل المضاد ناجحا فـان كل المشاكل المتعلقة بالسوق غير المباشر ستحل لذلك فالمنـاورة الخارجية هـي الحاسمة وهنا يجب ان نبذل جهدنا الاعظم •

ان مكافحة المنـاورة الخارجية للعـدو تتضـمن ايجاد اكبر عدد ممكن من

الروادع لتعزيز الرادع النووى الرئيس وكما كان العمل الرئيس للعدو مستندا على نقاطنا الواهنة فان اختيار هذه الروادع يجب ان يستند على النقاط الواهنةفي نظام العدو (الرأى العام الوطني ، الاقتصاد ، موقف الدول التابعة والدول رفيقة الطريق ذات المصلحة الموقتة ، المحرمات النفسية للماركسيين وللمسلمين او للرجل الاسود ••• الخ) ومن ذلك يمكن استخلاص النهج السياسي وبتعبير آخر يمكن القيام باختيار بين المواضيع الجغرافية والعقائدية المزمع الدفاع عنها وتلك التي يزمع تهديدها • ومن الواضح ان السياسة ذات النهج الدفاعي الخالص ستكون ذات تأثير رادع طفيف لان مفتاح الردع هو القدرة على التهديد • لذلك يجب ان يكون النهج السياسي تعرضيا •

ان النهج التعرضي لسياسة ما – في حقل العقائديات – ينبغي ان يشتمل بالضرورة على المقدرة المؤثرة على مهاجمة النقاط الضعيفة لنظام العدو العقائدي لذلك فان هذه النقاط الضعيفة لا آراؤنا الفلسفية او معنوياتنا هي التي يجب ان تكون نقطة الانطلاق • ان خطة هجومنا ينبغي ، اضافة الى ذلك ، ان تراعى ليس حاجتنا فقط بل حاجات الذين نريد استمالتهم وعلى سبيل المثال فنحن الآن دون قوة نفسية ضاربة لانه ليس هناك هيكل لفكرة حرة مركزة حول الحاجات الملحة للدول الجديدة فى العالم غير المرتبط او غير المنحاز (اقتصادهم ، تنظيمهم الاجتماعى ، والدستور السياسى ••• الخ) وبالاضافة يجب الاعتراف بان آرائنا تستطيع ان تعمل بصورة جيدة عند تكييفها وتجديدها وتنسيقها حسب حقائق العصر الحاضر (الاقتصاد المخطط ، التشريع الاجتماعى وهكذا •••)

ان التركيب الاساسى للطاقة الرادعة فى المحيط النفسى هو اعادة بناء مكانة الحضارة الغربية • ان المكانة هى تركيب معقد لقوة العصر الحاضر ولكفاءة العالم الغربي مع تقدير للقوة والكفاءة المحتملة في المستقبل • ان انهيار الغرب كان حصيلة حقيقة انه كان اعمى بالقدر الذى سمح به لنفسه بالانقسام • وان عجزه الواهن عن تكوين جبهة موحدة قد اكد هذا الانطباع • ان الاساس الاول لاعادة

بناء مكانة الغرب هو جعله يوافق على ضرورة وجود سوق اشمل وثيق التنسيق او بكلمة اخرى سياسة عامة وهذا مستحيل طالما احتوى النظام المطلوب على مجرد « حلف شمالي الاطلسي » وهو عسـكرى الهدف ، من نحو ، والامم المتحدة وهى ليست غير منبر للخلافات العالمية من نحو اخر • ان من الضرورى وجود منظمة غربية مسؤولة عن وضع سـوق عالمى وقد يكون حـل ما كالذى اقترحته فرنسا (دراسة عالمية من قبل القوى العالمية ودراسات اقليمية من قبل القوى ذات العلاقة) جوابا لذلك • لكن هناك شيئا واحدا مؤكدا وهو انه اذا لم نسـتطع التغلب على المصاعب الحقيقية المتعلقة بهذا الشأن ، فليس لنا أمل بالنجـاح فى الصراع • اما العامل الاساسي الثاني في احياء مكانتنا فهو اعادة تأسيس الثقـة العالمية بمستقبل حضـارتنا • ويمكن لهذا الفرض زيـادة الاسـتفادة من التقدم الاقتصادي المفرط الذي احرزته اوربا في السنين الاخيرة والشيء الاهم من ذلك هو ان تكون هناك فلسـفة ديناميكيـة وبالتاليجديدة • واخيرا فان المكانة تنبثق جزئيا من الخوف الذى بامكان المرء اثارته خاصة عند التعامل مع الدول الصاعدة حيث للسمعة قيمة كبيرة لديها •

وهذا يعنى ان علينا ان لا نخسر ماء وجهنا ثانية (كما فعلنا في السويس وخليج الخنازير) • بل ينبغي لنا محاولة استعادة ماء وجهنا بعمل كفوء مستند على برنامج بشكل متقن • ان ازمـة كوبـا خريف سنة ١٩٦٢ اظهرت الاثارة التي يمكن توليدها عند القيام بذلك •

وبالرجوع الى الناحية الجغرافية ينبغي القيام باختيار بين تلك المناطق التي نرغب بالدفاع عنها او تهديدها او مهاجمتها•ان هذا الاختيار سيتعلق بتلك المناطق التي تحمي النقاط الحيوية لنا من جهة او بتلك التي تهدد نقاط العدو الواهنة من جهة اخرى وان يشمل الاختيار ان امكن تلك المواقع التي يكون فيها القتال اسهل نسبيا• ان علينا اختيار المناطق التي يمكن ان تشكل قواعد لقتال آخر مثلا (كوبا) • وينبغي ان لا نسمح لانفسنا بالانسحاب الى مناطق يستطيع فيها العدو بذل جهـد

ملحوظ واسع مثلا (جنوب شرقي آسيا) واخيرا ، مع ان ذلك قد يكون صعبا ، الا انه ينبغي اعطاء الاسبقية لمحو تلك القواعد الخارجية التي يستطيع العدو بواسطتها تنفيذ عدوان غير مباشر •

المناورة المضادة الداخلية

والآن بالرجوع الى النقطة التي وقع فيها العدوان غير المباشر فان هناك عددا متباينا لانواع الرد • فاذا اخذ الاعتداء شكل مسرح لحركات تجزئة واستخدم نسبة ملحوظة من القوة المسلحة ، فانه يصبح ضروريا توفر قوى تعبوية في المنطقة للتأكد من اننا سوف لا نواجه بسرعة بالامر الواقع • ان مجرد وجود هذه القوى سيكون عادة كافيا من جهة اخرى ، فاذا لم تكن القوى الضرورية متوفرة فى المكان المطلوب فاننا سنضطر للاعتماد على تأثيرات مناورتنا المضادة الخارجية •

ان قضيتي السويس وسيناء اوضحت انه اذا شح التصميم لدى المعتدى فان مناورة خارجية ما ستتمكن من ابطال اى نجاح محلي • ان بالوسع عن طريق تدخل سريع كما في حالة الامريكان في كوريا ايقاف اى قرار تم التوصل اليه في المكان المطلوب وبالتالي تهديد خطة العدو باسرها • وهذا يوضح التأثير الرادع القيم للاحتياط السوقي السيار وفي حالة الاعتداء غير المباشر المستخدم فيه سوق التفتيت ينفتح لنا عدد من المسالك البديلة للعمل وافضل ما يعمل ـ اذا كنا نستطيع انجاز ذلك هو تحقيق الحفاظ على السيطرة الحكومية (العامل الاساسي) دون استخدام الطاقات على نطاق واسع وبالتالي اخماد اللهيب بمناورة خارجية كفوءة واذا فشل ذلك (كما في حالة فرنسا في الجزائر) فاننا سنكون مجبرين على العودة الى العمل المضاد المحلي مثل القيام بتعرض مقابل مباشر • وفي هذه الحال ايضا يكون النهج السياسي العامل الاساسي الذي غايته تجريد العدو من الورقة الرابحة • وهناك وجهان لذلك ، اولا علينا صيانة وزيادة مكانتنا لا بمجرد اظهار امتلاكنا لقوة كافية متوفرة بل ان نظهر وكان المستقبل منفتح امامنا فيه كل الامكانات

(تقدم حضارتنا ، العون الدولي ، ••• الخ) ثانيا علينا قطع الطريق على الساخطين بالقيام باصلاحات كبيرة مستمرة ، ومن الجهة العسكرية علينا احباط. سوق حرب عصابات العدو • لذا ينبغي ان يكون لدينا اولا اقتصاد متين لتجنب الانغماس فى مناورة من نوع مناورة سكة حديد الحجاز ، لذلك ستكون مناطق محدودة فقط محمية بقوة وهنا فقط ستؤمن حماية الجنود والمعدات تماما ، وان المناطق ينبغي ان تختار باعتناء مع مراعاة اهميتها السياسية والاقتصادية • اما في بقية القطر فينبغي قبول درجة معينة من انعدام الحماية • ان واجب نقاط الحراسة المتبقية في المناطق الاخيرة لن يكون اكثر من ادامة شبكة من الاستخبارات لتمكننا من القيام بسلسلة من الحركات لمنع العدو من انشاء قواعد منظمة • وفي حالات معينة قد يكون من الصواب السماح للعدو بالاقامة في هذه المناطق عندما تسنح له الفرصة كي نكون قادرين على تدميره باسلوب اسهل فيما بعد • ومن جهة اخرى فالحدود يجب ان تسد بحواجز متينة على غرار تلك التي استعملت في ليبيا من قبل ايطاليا الفاشستية وفي الجزائر • ومهما كانت جودة تنفيذ هذه الحركات فانها تستهلك دون شك طاقات ملحوظة وهذه هي سيئتها العظيمة في الحرب التي سيطول امدها • وسيكون من واجب السوق ان يجد احسن الحلول الاقتصادية والتنظيمية لتكوين منظومة (قوات التغيير مثلا) تمكننا من استبقاء الجهد لفترة طويلة • وفي ظروف مواتية استثنائية قد يكون مجديا اجبار العصابات على قبول قرارنا باستخدام القوة على نطاق واسع شريطة ان يكون بالوسع الحصول على النتيجة سريعا والا (كما في الجزائر) فان كل الذيسيحقق سيقلل قدرة المرء على الاستمرار والبقاء وبكلمة اخرى الوقوع في شرك سوق التفتيت المعادي واخيرا ، بالطبع ، ينبغي ان تدار كل الحركات مع مراعاة تأثيرها النفسى على العدو وعلى السكان المدنيين • وفي المناطق المحمية بقوة ، فان الحماية ستؤمن لها كاملة ولذلك على المرء ان يستطيع مقارنة وجودها الباعث على الحسد ـ لتوفير الحماية ـ مع وجود السكان في المناطق التي يسيطر عليها العدو نوعا ما • ان

المناطق المحمية ستصبح مناطق لجوء ولكي نبث الثقة يجب ان لا نسمح لها بالتناقص[1] باي حال من الاحوال واذا وسعت ينبغي ان لا يكون هناك انسحاب لاحق ان معاناة اى انتكاسة يجب ان يكتم[2] او ان يوازن عن طريق النجاحات البينة التي ينبغي ان يوجه لها تاكيد مناسب •

هذه اجراءآت يجب ان تتخذ • ان القارىء سيذكر الاخطاء التي ارتكبناها انفسنا وبخاصة في الجزائر ومهما كانت هذه الاجراءات جيدة فيجب ان نتذكر دوما بان في هذا النوع من القتال يكون نجاح الدفاع امرا استثنائيا•وكما وضحت في اعلاه فقد حدث هذا فقط عندما لم تكن هناك قواعد في الخارج بل عندما كانت القواعد متاحة لساحة الحركات حيث تمون العصابات منها • ان اى محاولة للرد على هجوم سوقي غير مباشربدفاع مباشر حماقة تشبه حماقة الثور في تحديه للعباءة الحمراء اكثر من تحديه لمصارعه • ان مصارع الثيران يمثل بكلمة اخرى المناورة الخارجية التي يجب ان تكون هدفنا •

استنتاجات عن السوق غير المباشر

ان السوق غير المباشر هو حرب شاملة تدار بمفتاح اصغر • لقد كان هذا السوق في الواقع موجودا عبر العصور على غرار السوق المباشر • ان الاشكال التي اخذها في العصر الحديث والمرات التي استخدم فيها هي حصيلة حقيقة ان الحرب العامة تعتبر غير عملية من قبل المفكرين لذلك فان السوق غير المباشر تكملة في الواقع للسوق النووي المباشر وهو في كثير من الاحيان ترياقه • كلما تطور السوق النووى اقترب من تأسيس توازن للمناعة الشاملة كلما زاد استخدام

(١) وهذا يعني ضرورة وجود سياسة طويلة الامد للقوات في المنطقة وينبغي ان تدام بمستوى ثابت •

(٢) يستعاض بهذا عن العناوين المثيرة للعواطف في الصحف •

(المؤلف)

السوق غير المباشر • سيقل ما في السلم من سلام وسيقترب اكثر فاكثر مما دعوته سنة ١٩٣٩ الحرب زمن السلم وهو ما ندعوه اليوم (الحرب الباردة) •

ان العلاقة بين الحرب الباردة والحارة تضارع العلاقة بين الدواء والجراحة فبدلا من العمل الدامي للحرب الحارة لدينا اليوم العدوى التي لا تقل فتكا لما فيها من خداع • ان الجراحة كقاعدة ليست فعالة ضد العدوى بل لابد من القيام بالتطعيم واتخاذ التدابير المضادة للعدوى مع معالجة المريض بصورة مبكرة • فهذه حرب حاضنة • ان العدوى النفسية تماثل العدوى الناجمة عن حرب جرثومية واذا اعلنت هذه الحرب فمن الصعب السيطرة عليها ، ان احد الاسباب الرئيسة لهزيمة المانيا سنة ١٩١٨ كان (فيروس) البلشفية الذي كانت ادخلته الى روسيا كاداة فعالة لخدمتها قبل سنة من اندحارها فطاش سهما وارتد اليها • ومنذ سنة ١٩٢١ فان الاتحاد السوفياتي تلاعب كثيرا في الاندفاع ضد الاستعمار على ان العملية سارت اسرع مما يقدره لها الاتحاد السوفياتي نفسه فجعلته يواجه مشكلات في افريقيا ـ تلك المشكلات التي لم يكن مستعدا لمواجهتها ـ وبالرغم من انها قد استخدمت لقرون عديدة فاننا لم نعتد هذا النوع من الحرب السريرية •

وبالرغم من ان المظهر الخارجي للسوق غير المباشر ذو اختصاص وانه في الغالب ذو طبيعة مربكة الا انه (السوق غير المباشر) ليس شكلا اختصاصيا للسوق منفصلا عن السوق المباشر • ان مفتاحه على غرار السوق كله ، هو حرية العمل، الا ان الاسلوب الذي به تنال حرية العمل هو الذي يختلف • ينبغي لنا ان نحصل عليه بالابداع ممتزجا بالامن • وهذا يختلف ايضا لان منطقة حرية العمل (وبالتالي حدود الامن) تعتمد على ما يجرى خارج لا داخل المنطقة موضوع الخلاف • وهذه ميزته الخاصة وهي التي تمنحه صفته غير المباشرة •

ينبغي ان تكون هذه النقطة واضحة لنا وهي ان الامن يعتمد على المناورات الخارجية التي تكون فيها النقاط الواهنة لدى كل فريق عوامل حيوية • ان اي نقطة واهنة لدينا تقدم للعدو هدفا وان اى نقطة واهنة لديه تقدم لنا فرصة التهديد

بالثأر • هذا هو المستوى الذي بموجبه تراعى مسألة الأمن • بجانب ذلك فان بعض النقاط الواهنة ، خاصة اذا كانت حصيلة حركة ثورية تستغرق وقتا طويلا للتطور (مؤتمر باكو عقد سنة ١٩٢١ لكن مقاومة الاستعمار اصبحت عاملا مهما منذ سنة ١٩٤٥-١٩٦٠؟ ، ولقد بدأت كوبا تكون مشكلة سنة ١٩٥٦ ••• الخ) ان كلا من الاجراءات المضادة غير المباشرة لتحقيق الامن والاعمال المصممة لمواجهة تهديدات العدو ينبغي ان يبدأ بها مبكرا •

ان الدور الحيوي في السوق غير المباشر يحين اوانه ويبدأ عمله عند ظهور الاعراض الاولى واي شيء غير هذا يكون قد فات اوانه •

لذلك فالسوق غير المباشر ليس الا اسلوبا يطبق قانونا سوقيا عالميا وذلك برفع درجة قوة عناصر معينة مختلفة الى ما لا نهاية له حيث يتقلص عامل القوة الى الحد الادنى بينما يزداد عامل الوقت الى حد كبير • ان السوق يمكن ان يلخص على شكل معادلة باسلوب انشتايني عالمي كما يأتي :

س = كف Π ت $$S = K F \Pi T$$

ان (ك K) تمثل اى عامل نوعي يمكن تطبيقه على الحالة ذات العلاقة اما (ف F) فتمثل القوة المادية ، اما (Π) فتمثل العامل ، النفسي و (ت T) تمثل الوقت • ان العامل المسيطر في مجال السوق المباشر هو (ف F) القوة المادية ويليه العامل (Π) العامل النفسي وبعدئذ العامل (ت T) الوقت • اما في حقل السوق غير المباشر فتنعكس الآية حيث ان العامل الاساسي الاول هو (Π) العامل النفسي والواقع انه في مجال السوق غير المباشر يكون العامل النفسي الذي يلعب بعض الدور في اى نوع من انواع السوق هو المسيطر وفي حالة عدم توفر القوة المادية فمن الضروري التعويض عنها بقوة عقائدية وبتأثير خطط ذكية دقيقة التصميم •

يجب ان لاننسى على كل حال بان توفر استخدام القوة في لعبة السوق

غير المباشر ضروري كما هو الحال في حالة السوق المباشر • قد تستخدم القوة على نطاق محدود جدا على ان ذلك يجب ان لا يصرفنا عن تقدير اهمية الدور الذي تلعبه ، وقد تكون القوة النووية غير مرئية لكنها موجودة دوما وهذا هو الـذي يضع حدود ميدان القتال (مثل تقريـر خطوط التماس) التي يجب ان تلعب ضمن اطارها لعبة السوق غير المباشر• ثانيا في مجال السوق غير المباشر ذاته يحتاج الى قوة لاستثمار (او للتهديد باستثمار) المواقف التي تولدها المناورة النفسية • وهذا صحيح حتى لو كانت القوات العاملة ليست اكثر من عدد قليل من جنود الامم المتحدة او بعض قرود كاتنكا • وقد يكون العامل (ف F) القوة ضئيلا ولكنه لا يصير صفرا على الاطلاق وبدونه لا يعمر السوق طويلا •

لقد شعر بعض الناس بان استعمال القوة فى هذه اللعبة الرقيقـة البعيدة غالبا عن الحرب وفق الاسلوب التقليدي هو تعرض مميت • وذلك شعور خطير ومغلوط فى الوقت ذاته • ان القوة بحد ذاتها ليست جيدة ولا سيئة • انها تتوقف على الهدف الذى تستخدم لاجله ، وبكلمة اخرى على السياسـة التى تضع القوة حيز العمل لقد لعبت القوة عبر العصور دورا رئيسا فى الصراع ، وعدم القبول بهذه الحقيقة يعنى اغماض المرء عينيه عن الواقع •

ان هذا الاستعمال الرقيق للقوة غالبا ما يعتقده البعض اكثر تبعيـة لمجال السياسة من باقي المجالات ، ويقول الناس بان سوقا غير مباشر من النوع الذى تحدثت عنه قبل قليل ليس سوقا بل سياسة • ان هذه المنافسة الاصطلاحية ذات اهمية قليلة بحد ذاتها خاصة بعد ان اتضح ان السوق غير المباشر سيدار بمستوى رؤساء الحكومات • ان اختيار الكلمة على كل حال سيكشف مدى ادراك المسألة ان الذين يتصورون ان السوق غير المباشر شكل من اشكال السياسة يخلطون بين نوعين مختلفين من الامور • ان دور السياسة هو وضع الاهداف وتقرير الموارد المطلوب تخصيصها ايضا لنيل هذه الاهداف بالاساليب غير المباشرة ام بغيرها •

ان ادارة سوق غير مباشر ليس سياسة على كل حال ، انه سوق ، وبكلمة

اخرى فان اى سياسة ينبغي ان تشمل على اكثر الخطط دقـة واتقانا لاستخدام القوة •

ان تأريخ السنوات العشر الاخيرة قد اظهر لنا الاخطاء الخطيرة التى تنبثق من محاولة بحث هذه المسائل بالتوكيد وبالتخمين عند مواجهة الاعداء الذين لهم علم تام بقواعد اللعبـــة • يجب ان نتعلم الان اســتعمال هذه القواعد كما هم يستعملونها وبالواقعية واليقظة الاستخبارية ذاتهما •

وهكذا فقط نستطيع تجنب رؤية انهيار متعاقب لمواضعنا اجمع او نطلق عقال الكارثة كملاذ اخير بحيث يتحتم علينا استخدام السوق المباشر الذى يجرجر اذيال الكارثة فى عصرنا الحالى •

علينا ان نعيش هذا السلم المزعوم وننقذ ما تبقـى لنا من سـلم الحقيقي •

ينبغي لنا ان نتقن فن السوق غير المباشر •

الفصــل الخامس

استنتاجات عــامة عن الســوق

ان الخاسر في الحرب يستحق الخسارة لان هزيمته حصيلة اخطاء في التفكير ، ارتكبت اما خلال او قبل الصراع • ان السوق ليست لعبة ذهنية تلعب حسب حقائق صارمة للحرب ولا هي اسلوب متحذلق لتطبيق التعقل على قضايا تثيرها الحرب • وآمل ان يكون هذا الكتاب القصير قد اقنع القارىء بهذه الحقيقة وأمل ان يــكون قــد بين لــه ايضــا ما هية الســـوق ، وهو عمليـــة فكريـــة ينبغي ان تمكننا ،على الرغم من تعقدها ، من تعيين الطريق العملي لنيل الغايات التي تنشدها السياسة ، واهم من ذلك القضاء على الاخطاء الواضحة التي لدينا عليها اسئلة كثيرة في التاريخ الحديث •

★ ★ ★

عند محاولتي وصف ماهية السوق قررت الابتداء بالسوق الشامل لانه هو الذي يجب ان يوجه النزاع سواء كان شديدا ام محتالا او سواء جرت ادارته في مجال ســياسي ام اقتصادي ، دبلوماسي ام عسكري ، او في هــذه المجالات جميعا مرة واحدة ـ لانه شامل في الحقيقة لكل امور الســـوق • والواقع ان السوق غامض على الاغلب اذا نظر اليه بمنظار عسكري فقط ، حيث ان ذلك يهمل حساب عوامل حيوية اخرى كثيرة جدا وحتى في الظروف المواتية (كما هو الحال في ســـوق نابليون) فــان وجهــة نظر عســكرية فقط غير كافيـــة وهي بالتالي تقود الى الضياع•وللسبب ذاته فانني شعرت انه ليس صوابا التفريق بين السوق والدبلوماسية كما يفعل مثلا ، رايموند آرون ، لان ذلك يعني ان المرء يقسم باستبداد قضية هي في الواقع قضية واحدة (ولها باي حال من الاحوال اكثر من هذين الوجهين) انا لااعتقد بصواب هذا التقسـيم العمودي واقترح تقسيما افقيا واضعا السياسة فوق الخط والسوق الشامل تحتـــه وهذا يظهر

الفروق الصحيحة بين المستويات المتباينة المسؤلية ويمكن اعتبار عمليات التفكير المتعلقة بكل مستوى هيكلا واحدا •

هناك تحت مستوى السياسة ، على كل حال هرم كامل لمستويات متباينة من السوق ، حيث يستقر في القمة السوق الشامل الذي يوحد مستويات متباينة من السوق العام غريبة واحدتها عن الاخرى وتحت هرم السوق تأتي التعبية وفنون التقنية • ان السوق العسكري هو شكل من اشكال السوق العام فقط وباعتماده على الظروف قد يلعب دورا فعالا او يكون عاملا مساعدا فقط •

* * *

ان لعبة السوق كما رأينا كالموسيقى يمكن ان تعزف بمفتاحين • المفتاح الرئيسى هو السوق المباشر حيث تكون القوة فيه العامل الاساسى اما المفتاح الثانوى فهو السوق غير المباشر حيث تتراجع القوة فيه الى الخلف ويحل محلها علم النفس والتخطيط ومن الطبيعي ان يستفيد السوق من هذين العاملين بدرجة متفاوتة والنتيجة ظهور عدد كبير من النماذج وقد بحثنا اهمها •

الذي ينبغي ان ندركه هو ان هذه المفاتيح والنماذج ليست اكثر من كونها حلولا متباينة ضمن الاطار العام نفسه ، ان لها جميعا نفس الهدف • (قرار يوصل اليه عن طريق الاستسلام النفسي للعدو) انها تستعمل ذات الاساليب التي اساسها الكفاح من اجل حرية العمل • وهى تختلف من جهة استخدامها للسياقات ان ايا منها مزيج مختار من سياقات وتدابير انتخبت لانها تلائم الطاقات المتوفرة او نقاط العدو الواهنة المراد ضربها • ان اختيار افضل السياقات ربما يكون اهم عمل للسوق • ان الاختيار شاسع جدا ، يتدرج من الاقتراح حتى التدمير المادى • وان السوق هو الذي يمكن من معالجة المواقف الصعبة وهو الذي يمكن الجانب الضعيف من الخروج ظافرا •

وفي هذا الاختيار وبالتوجيه التالي للحركات ، على السواء تكون حريـــة العمل حجر المحك • ان لب السوق في الواقع كفاح من اجل حريـة العمل • لذلك فقواعد لعبة السوق هي صيانة حرية العمل (الامن) والقدرة على تجريد العدو منها بالابداع والمباغتة • غير اننا نواجه عند هذه النقطة ثانية نظريتين : اما ان نحاول تنفيذ استخدام منطقي للقوى المتوفرة (سوق الاحصاء) او نستهدف الامر الذي يحتمل ان يخدع العدو اكثر ، (سوق الخداع) وقد يــستخدم هذان الاسلوبان لتطبيق السوق بكلا المفتاحين السوقيين الرئيسين سواء في السوق المباشر او في السوق غير المباشر ان مسألة استخدام اي من الاثنين وكيفية التوفيق بينهما ستعتمد على الظروف الخاصة التي تسيطر على الحركات ذات العلاقـــة • ان معركة (ديان بيان فو)[1] كانت حدثا احصائيا خلال حملـــة موجهة بصورة رئيسة وفق اساليب السوق المباشر ، على عكس ذلك فالمقاومة الفرنسية كـانت مظهرا خداعا لحركات (اوفرلورد) التي عقبت بحد ذاتهـا مبـادىء السـوق المباشر تماما • اننا بتحليل عمليات التعقل السوقي نستطيع تقدير الموقف الذي سيتخذه الجانبان المتنافسان ضمن المحيط الجدلي ، ان حرية عمل كل فريق تقدرها العوامل الاربعة المحدودة التالية ، القوة المادية ، القوة المعنوية ، السوقت المسافة • ونستطيع ايضا تقدير التغييرات التي تطرأ على الموقف بشـأن كل من الوقت والمسافة الذين تولدهما الديالكتيكية لاجل حريـــة العمل • ان المطياف الذي تحلل بواسطته هذه المواقف الديالكتيكية التي لا تختلف عن لقطـات فلم صراع ، هو ما دعوته بعامل المناورة • انه العـامل الذي يوحد ما بين ســوقي الاحصاء والخداع ملتفا بتدبير مقابل مصمم لتحقيق القرار •

---

(١) ديان بيان فو ـ مدينة في فيتنام الشمالية حاليا ، كانت مسرحاً لمعـارك شديدة في حرب التحرير التي نشبت مابين قوات (الفيت منه) والقـوات الفرنسية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية • وفي حصن ديان بيان فـــو تحصن الفرنسيون وقبلوا الحصار الا أن الحصن سقط بيد قوات التحرير (فيت منه) بقيادة الجنرال (كيباب) وأدى لاختلال ميزان المقاومة الفرنسية في الهند الصينية • (المترجم)

ان المسألة في هذا التدبير المقابل ليست تفادى رد اندفاعات العدو (رغم وضوح ضرورة القيام بذلك) لحرمانه من الاحتفاظ بالمبادأة بل واقتناصها من قبلنا والمحافظة عليها لحين الوصول الى قرار •

ففى المناورة اذن علينا النظر قدما ومحاولة التأكد من ان كل الثغرات محمية وان الخطة مزيج متماسك من التنبؤات المؤدية الى القرار النهائى •

ان السوق على كل حال ليس كالشطرنج ، ان قطع السوق ليست ذات قيمة مستديمة ومعروفة • فينبغى اذن ان نتوصل الى حلول له عن طريق توحيد عناصـر دائمة التغيير • ان الحرب (او اي نزاع) يستخدم القوة الماديـة التي تقرر مقدرتها ، المعدات المادية المتوفرة فى فترة ما ، انها بجانب ذلك تسـتخدم القوة المعنوية التي تتعلق بالافكار التي تسود حضارة ذلك الزمن ، ونتيجة لذلك يجب ان يكون السوق عملية مستمرة للتفكير الاصيل مستندة على الفرضيات التى يجب ان تبرهن على صوابها او خطأها كلما تقدم العمل • انه عملية يكون فيها حصاد اى تقدير خاطىء هزيمة مرة وهنا تكمن مشكلة السوق العظمى ، خاصة فى عصور التطور السريع كما في العصر الحاضر •

ان حقيقة كون السوق عملية تطورية قد ادركت خلال السنوات الاخيرة فقط والسبب الرئيسى لذلك كان ادعاء بعض النظريات بان من احدى حسنات السوق كونه يعتمد على عوامل غير متغيرة ، وان التعبية فقط هي التي تكون معرضة لعملية التطور • واليوم وقد اجبرنا ظهور السلاح النووى علىادراك ان علىالسوق بالضرورة ، (وبالرغم من احتمال وجود مبادىء ثابتة غير متغيرة) الاختيار بين عدد كبير من مسالك تخمينية متباينة للعمل • وهذا هو الامر الذى يسبب ظهور عدد من النماذج المختلفة للسوق تخلف العدد المحدود للمبادىء الصريحة التى وضعتها النظريات القديمة •

ولتقليل احتمال ارتكابنا للاخطاء بنتائجها المرعبة علينا التمتع باحسن تنظيم ممكن لدراسة اى موقف من جميع وجوهه • ان نهج تفكيرنا التقليـدى ينبغى

ان يند لان ما هو اكثر اهميـــة في الوقت الحاضر هو المقدرة على النظر للامام وهذا اهم من التمتع بقوى واسعه النطاق مشكوك في تأثيرها • لايمكن وجود سوق حديث ما لم تكن لدينا منظومات جيدة للبحث ومالم يكن لدينا اسـلوب صائب لتحليل اى موقف ومالم نحصل على معلومات كافية عن التطورات المستمرة وعن الفرص التي تقدمها المخترعات على اختلاف انواعهـا • اننا لا نزال على بعد شاسع عن هذا الوضع السعيد •

★ ★ ★

هناك جوانب عديدة للسوق لم تكشف بعد الا جزئيا او انها لم تكتشف ابدا ان السوق السياسي والدبلوماسي لا زال بدائيا رغم انه استخدم منذ عهد مغرق في القدم• ان الاستخدام السلمى للسوق الاقتصادى قد تم ادراكه الان بصورة جيدة غير انه قلما اعتبر اسلوبا لفرض الضغط وهذه امور من الضرورى الاهتمام للالمام بها •

واهم من الجميع هي دراسة العنصر النفسي في السوق • من الضروري ان ستطيع تمييز العوامل المسيطرة على نفسية حشد ما او جيش او قائد او وزير او شعب ما او نفسية الرأى العام العالمي وهكذا• اننا لا نستطيع ان نعمل كما لو كنا نتناول الطعام من اليد الى الفم في هذا المجال • لقد ارتكبنا في السوق مؤخرا اخطاء كثيرة جدا وهذه الاخطاء كانت حصيلة تقدير خاطىء للمستويات المتباينة التى يجب ادارة السوق بموجبها • لقد اصبح علم النفس مؤخرا موضوعا معروفا للدراسة الاساسية غير ان النتيجة كانت مجرد اتقان فنون ومهارات معينة لاترتقي لما هو افضل مما يحصل في المستوى التعبوي • ان هذه التعبية لا فائدة لها مـا لم تستخدم ضمن اطار سوق نفسى صائب • ان المشكلة التى اشرنا اليها فى اعلاه وهى تعريف نهج عام للسياسة لهى دون شك من اصعب المشكلات ومن الممكن حلها باسلوب اختصاصى للتعقل المنبعث بطبيعته من الاطار الجدلى •

★ ★ ★

هل بالوسع استخلاص استنتاج شامل من هيكل للتحليل معقد بالقدر الذى تتيحه دراسة سريعة لمتطلبات السوق •

ان السوق قديم قدم التلال غير انه كان حتى السنين الاخيرة فنا خفيا لفئة معينة صغيرة من الحواريين ، لقد كان معتبرا من الآثار القديمة ، وفي السنين الاخيرة اعتبر وكأنه حصيلة ضغط الاحداث، والان يبدو وكانه يدخل دورا جديدا من النشاط الفنى • وقد يكون السوق خالدا لكنه اذا اصبح سيدا لمثل هذه الظواهر المتباينة العارمة كالحرب الباردة ، والحرب الشاملة ، الحرب الثوريـــــة ، والحرب النووية ، فانه (اى السوق) يجب ان يمر عبر تغيير ملحوظ ، ان مداه ينبغى ان يوسع وان يعاد النظر فيه من حيث الاساس •

هذا ما اردت اظهاره لانى مقتنع بان الاراء فى السوق، كما فى كل القضايا الانسانية هى التى ينبغى ان تكون القوة المسيطرة والموجهة •

ولكن ذلك يقودنا الى حقل الفلسفة •

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 08 / جمادى الأول/ 1444 هـ
فـــي 02 / 12 / 2022 م هـ

سرمد حاتم شكر السامرائـــي

م. سرمد حاتم شكر

مطبعة الجيش العراقي
بغداد